أسواق الحقيقة

(مسرحيتان)

محمد الهلالي

أسواق الحقيقة

(مسرحيتان)

محمد الهلالي

عنوان الكتاب: أسواق الحقيقة (مسرحيتان)

المؤلف: محمد الهلالي

لوحة الغلاف: مريم والسات

الإيداع القانوني: 2023MO2035

الردمك: 978-9954-721-54-4

مطابع الرباط نت
RABAT NET
Av. Hassan II Cité Al Manar n° 6/3 - Rabat
05 37 20 46 32 - 06 61 20 37 76
imprimerierabatnet@gmail.com
www.imprimerierabat.com

نشر هذا الكتاب بدعم من وزارة الشباب والثقافة والتواصل

صدر للمؤلف:

الشعر:

2008: "اشتهاء القرب والبعد والتيه"، ديوان شعر، منشورات كلمات بابل، الرباط

2021: "عين الاختلاف"، ديوان شعر، منشورات "مجلة الحرية"، مطابع "الرباط نت"

الروا ية:

2001: "مأوى الفقراء"، رواية، الطاهر بنجلون، ترجمة، دار توبقال، الدار البيضاء

2002: الرفيق أبو خمرة والشيخ أبو نهدة، رواية، منشورات اختلاف، الرباط

دراسات و أبحاث:

1999: ما هو المجتمع المدني، بالاشتراك مع د. مصطفى أعراب، مطبعة أمبريال الرباط

2001: اليساريون الثوريون بالمغرب، منشورات اختلاف، الرباط

2004: الإسلام والمرأة، منشورات اختلاف، الرباط

2016: العنف والحرية في الإسلام، أركيولوجيا العنف في النصوص المؤسسة للإسلام، بالاشتراك مع حنان قصبي، منشورات نوافذ، مطبعة الرباط نِت.

حقوق الإنسان:

1995: حقوق الإنسان من سقراط إلى ماركس، الطبعة الأولى، نصوص فلسفية ووثائق حقوقية، ترجمة، منشورات بابل، الرباط.

1999: حقوق الإنسان من سقراط إلى ماركس، الطبعة الثانية، نصوص فلسفية ووثائق حقوقية، ترجمة، أمبريال، الرباط

2018: حقوق الإنسان من منظور نقدي، بالإشتراك مع خديجة رياضي، منشورات مجلة الحرية، مطابع الرباط نت، الرباط

الترجمة:

1996: الفلسفة، نصوص فلسفية، ترجمة، مطبعة المغربية إتقان، سلا، المغرب

2000: ابن خلدون من منظور آخر، عبد السلام الشدادي، ترجمة، بالاشتراك مع بشرى الفيكيكي، دار توبقال، الدار البيضاء

2004: "الدين في عالمنا"، مؤلف تحت إشراف جاك دريدا، ترجمة، بالاشتراك مع حسن العمراني، دار توبقال، الدار البيضاء

2008: "ثقافة أوروبا وبربريتها"، إدغار موران، ترجمة، دار توبقال، الدار البيضاء

2011: التفكير في تنوع العالم، فيليب ديريبارن، ترجمة، دار توبقال، الدار البيضاء

2015: وضعية المرأة في العالم، ترجمة كتاب إليزابيت كريميو، بالاشتراك مع حنان قصبي، دار توبقال، الدار البيضاء

دفاتر فلسفية:

2016: الخلاف والاختلاف في الفكر العربي الإسلامي، إعداد نصوص في الفكر العربي الإسلامي، بالإشتراك مع حسن بيقي، دفاتر فلسفية، دار توبقال، الدار البيضاء

2016: الإيمان، ترجمة نصوص فلسفية، بالإشتراك مع حنان قصبي، دفاتر فلسفية، دار توبقال، الدار البيضاء

2016: الاختلاف، ترجمة نصوص فلسفية، بالاشتراك مع حسن بيقي، دفاتر فلسفية، دار توبقال، الدار البيضاء

2016: اللاوعي، ترجمة نصوص فلسفية، بالاشتراك مع سميرة شمعاوي، دفاتر فلسفية، دار توبقال، الدار البيضاء

2015: معايير العلمية، ترجمة نصوص فلسفية، بالاشتراك مع حسن بيقي، دفاتر فلسفية، دار توبقال، الدار البيضاء

2015: في المنهج، ترجمة نصوص فلسفية، بالاشتراك مع حنان قصبي، دفاتر فلسفية، دار توبقال، الدار البيضاء

2014: الحق والعدالة، ترجمة نصوص فلسفية، بالاشتراك مع عزيز لزرق، دفاتر فلسفية، دار توبقال، الدار البيضاء

2014: التاريخ، ترجمة نصوص فلسفية، بالاشتراك مع عزيز لزرق، دفاتر فلسفية، دار توبقال، الدار البيضاء

2013: السعادة، ترجمة نصوص فلسفية، بالاشتراك مع عزيز لزرق، دفاتر فلسفية، دار توبقال، الدار البيضاء

2011: الواجب، ترجمة نصوص فلسفية، بالاشتراك مع عزيز لزرق، دفاتر فلسفية، دار توبقال، الدار البيضاء

2011: الدولة، ترجمة نصوص فلسفية، بالاشتراك مع عزيز لزرق، دفاتر فلسفية، دار توبقال، الدار البيضاء

2010: الشخص، ترجمة نصوص فلسفية، بالاشتراك مع عزيز لزرق، دفاتر فلسفية، دار توبقال، الدار البيضاء

2010: الغير، ترجمة نصوص فلسفية، بالاشتراك مع عزيز لزرق، دفاتر فلسفية، دار توبقال، الدار البيضاء

2009: العنف، ترجمة نصوص فلسفية، بالاشتراك مع عزيز لزرق، دفاتر فلسفية، دار توبقال، الدار البيضاء

2009: الحرية، ترجمة نصوص فلسفية، بالاشتراك مع عزيز لزرق، دفاتر فلسفية، دار توبقال، الدار البيضاء

مجلات:

- المسؤول عن نشر مجلة "اختلاف" (1991-1994)
- المسؤول عن نشر مجلة "الحرية" (الصيغة الأولى سنة 1995 - الصيغة الثانية من 2018 إلى الآن)
- عضو هيئة تحرير مجلة "نوافذ" (سابقا) التي يشرف على نشرها ورئاسة تحريرها د. أحمد الحارثي.

أسواق الحقيقة

(مسرحية)

المشهد الأول

(ساحة فارغة جُردت من كل معالم الحياة. قُسمت لأربع مناطق. كلّ منطقة هيَ على شكل دائرة. تتوسط كل دائرة راية كُتب عليها اسم المنطقة: منطقة الحقيقة، منطقة اللاحقيقة، منطقة الكذب، منطقة الحياد. هدوء تام يسود الساحة. الرايات عالية ترفرف. كل دائرة تواجه الدائرة المُناسبة لها (التضاد أو الاختلاف) والكل يشكل دائرة كبرى.

يدخل الشخص المجهول (هو مجهول لأنه لا يملك هوية تاريخية أو مَبدئية، هو تجسيد للسيطرة المطلقة التي لا وجْه لها) إلى الساحة. تصاحبه موسيقى تعبر عن المجهول (مستقبل الإنسانية المجهول) يتفقدُ الساحة من إحدى زواياها. ثم يتفقد كل منطقة على حدة. يقف أمام كل منطقة ويتأمل في الراية فتنطلق موسيقى تنسجم مع دلالة المنطقة التي يتفقدها.

منطقة الحقيقة: موسيقى حماسية

منطقة اللاحقيقة: موسيقى مأساوية

منطقة الكذب: موسيقى مرحة

منطقة الحياد: موسيقى كلاسيكية غربية

يخرج الشخص المجهول من الساحة على أنغام موسيقى المجهول، وبعد لحظات يدخل الساحة أربعة أشخاص يصطفون وراء بعضهم البعض (امرأة، رجل، امرأة، رجل)، بلباس موحد أو شبه موحد، وعُلقت على صدر كل واحد منهم بطاقة كتب عليها اسم منطقته. يُشرف الشخص المجهول على عملية احتلال كل شخص المنطقة التي خصصت لهُ مثل قدر محتوم.

يُغادر الشخص المجهول الساحة. ينظر كل شخص للآخرين نظرة الراغب في التعرف عليهم، ثم نظرة الحذر منهم ثم نظرة التحدي. تنطلق

موسيقى منطقة الحقيقة، وتلتحق بها موسيقى منطقة اللاحقيقة، ثم موسيقى منطقة الكذب، ثم موسيقى منطقة الحياد... تتداخل القطع الموسيقية في عملية دمج منسجمة (بعدما عولجت عملية دمج الأصوات فنيا) لتنتج عنها موسيقى صاخبة... يدخل الشخص المجهول الساحة فجأة فتتوقف الموسيقى الصاخبة التي هي خليط من موسيقى المناطق الخمس... لتحل محلها موسيقى المجهول. يتأمل الأشخاص جميعا ثم يسود الصمت. يخرج الشخص المجهول... ينظر الأشخاص لبعضهم البعض... يتبادلون الابتسامات... يبدأ حوار بينهم لا توجَهُ فيه الأسئلة والأجوبة لأي أحد بشكل مباشر، وكأن كل شخص منهم يحاور نفسه. من حين لآخر يخرج أحد الأشخاص من منطقته ويهجم على منطقة أخرى، فيهربُ الشخص الذي هوجمت منطقته إلى منطقة أخرى وهكذا تستمر العملية في شكل هجومات دائرية وتشابكات هندسية. في بعض الأحيان يكون الهجوم عبارة عن إزاحة الآخر بالقوة ويتم احتلال منطقته مما يجعله خارج المناطق في هذه الحالة يُحرم من الكلام، فيبذل جهدا كبيرا للعودة لمنطقته لكي يستأنف الكلام. الصراع بين المناطق هو صراع بين الأفكار. لما يتدخّل أحد الأشخاص يتفاعل معهُ الآخرون بحركات عدوانية أو استنكارية. الشخص المجهول هو السيد المتحكم في مصائرهم. رغم تمردهم من حين لآخر في غيابه أو لما يستغلون عدم انتباهه. مهمتهم هي أن يتحدثوا بجدية عن موضوع جدي لكن لا أثر لهذه الجدية في الواقع. لأن التاريخ يَصنعه أبطال الحكاية مجسدين في الرجل الغريب وأعوانه، والحكاية هي تسجيل لما جرى في التاريخ فعليا. تتداخل شخصية الرجل الغريب مع شخصية الشخص المجهول. في الأخير سوف يقود الشخص المجهول الأشخاص الأربعة إلى خارج الساحة أي إلى المجهول.)

المشهد الثاني

(حقيقة الأسماء)

● صوت:

"وصل الشخص الغريب إلى أبواب القرية. كان شخصا طويلا وعريضا. مُلثّما على طريقة سكان الصحراء. لفّ عمامة حول رأسه. انفتحت أبواب القرية فخرج سكانها جميعا ليجدوا أنفسهم في مواجهة هذا الغريب. خاطبهم بصوت قوي وبلغة سليمة وواضحة وبسيطة. اخترق صوته الجبال المحيطة بالقرية. كان صدى صوته يُغطي سماء القرية كموسيقى آتية من السماء. وبمجرد ما فتح فمه حلقت الطيور فوق القرية، وشعر الناسُ بنسيم عليل يداعب أجسادهم. وقال لهم الشخص الغريب بعدما استقر نسر فوق كتفه الأيمن واستقرت حمامة فوق كتفه الأيسر:

- أيها الناس، لقد جئت لأحل مشاكلكم. جئت لأخلصكم من جميع المصائب والمتاعب. وأضمن لكم السلم والحياة السعيدة والأوقات الرغيدة. أنا مُسيّرٌ في أمري هذا ولست مخيّرا. ولا خيار لكم في قبول تسلمي تدبير شؤونكم. ولقد أَعذَرَ من أنذر. والله وحده يَعلم ما في القلوب."

(موسيقى تعبر عن المجهول. حيرة تبدو على الجميع. ثم تهدأ موسيقى المجهول لتبدأ موسيقى اللاحقيقة)

هدى (منطقة اللاحقيقة):

لا تهمني أسماؤكم. فأسماؤكم ليست أنتم. وأنتم مهما اختفيتم وراء أسمائكم فستنكشف نواياكم. لا تهمني حقيقة أسمائكم. الأسماء مزعجة... الأسماء سجون... من السخافة أن يُعرّف الشخص نفسه باسمه... الأسماء جنون...

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

لكن... لا حياة بدون أسماء... بالرغم من أن الأسماء ليست هي الحياة... أحيانا تتضخمُ الأسماء لتصير قنابل... تنفجر... فتقتل بشرا بسبب أسمائهم... لكن ما هو الشيء الذي لا اسم له؟ مستحيل. لا بد من اسم لأي شيء، ولكل شيء بل لا بد من اسم حتى للاشيء....

زينب (منطقة الحياد):

سواء اعترفتم بأسمائكم أو لم تعترفوا بها، فها هي ساعة الحقيقة قد دقت... دقت ساعة الحقيقة... ولما تدق ساعة الحقيقة يتوقف الزمن ليَسخر من الناس... فهل سيختبؤون في أسمائهم؟ هل أسماؤهم لباس لهم؟ وأي لباس هذا الذي يقفز من أحد لآخر في خفة واستهزاء؟

يوسف (منطقة الكذب):

أية اسماء.. أسماء سياسية... عِلمية... فلسفية... أنا مُعجب بالأسماء المفيدة... لأن الأسماء غير المفيدة هي بوابة الجحيم والسجون.. والتلاعب... الاسم عنوان الفقر أو الغنى... عنوان الفضيلة أو الرذيلة... اسمحوا لي أن أقول لكم إن في الأسماء حكمة... وأنا شخصيا أريد أن أغير اسمي ليصير اسما أحبه...

هدى (منطقة اللاحقيقة):

الأسماء يمكن تغييرها... بأسماء أخرى... فما الفائدة من ذلك؟

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

إذا كانت الأسماء بهذه الفظاعة... فلماذا وُجدت؟

زينب (منطقة الحياد):

حقيقيتي أنا... هي الشيء الوحيد الذي يهمني... لا شأن لأحد باسمي... ولا شأن لي بأسماء الناس... بالرغم من انني مُجبرة على أن أعرف أسماءهم لكي أعرفهم...

يوسف (منطقة الكذب):

اسم أي شخص وَهم... وهْم... جبلُ ثلج مصيرهُ الزوال... لا وجود إلا للأسماء النافعة... التي تحيل عليها الأسماء غير النافعة...

هدى(منطقة اللاحقيقة) :

الاسم النافع هو ما يَختفي وراء الاسم الشائع... الاسم النافع يُحب الظهور في العلن... الاسم النافع لا يَخشى أن يتلاعب به الناس... الحاج/ة... سيدي/سيدتي... مولاي/مولاتي... الشريف/ة... الشيخ/ة... الأمير/ة... السلطان/ة... الرئيس/ة... الملك/ة... الطبيب/ة... الأستاذ/ة... الجنرال/ة.... الضابط/ة.... الساحر/ة... العراف/ة... الخبير/ة... الكاتب/ة... الصحفي/ة... الدكتور/ة...

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

هناك اسم حقيقي على الأقل بالنسبة للبوليس والمخابرات... كيف يمكنهم القبض عليك إذا لم يكن لديك اسما حقيقيا؟ أقدمُ صديق للشخص هو اسمه... أقدمُ صَدى يرنّ في آذان الشخص هو اسمه الذي تحفرُه أمه في جسده... لا ظاهر ولا باطن في الأسماء... ولماذا سيكون هناك باطنٌ لاسم معين يُخفي نفسه عنا... ما فائدة ذلك؟

زينب (منطقة الحياد):

ذات يوم أنجزت تقريرا عن اسمي... منذ البداية حتى لحظة إنجاز التقرير... فتفاجأت أنه بدون اسمي لم يكن بإمكاني أن أتحدث عن نفسي... ولم يكن بإمكاني تغييرُه... وتبين من هذا التقرير أن اسمي هو أنا... وأنني صرتُ أسيرة اسمي... وأنه احتلني... الأسماء تحتلنا وما علينا إلا الاستسلام لها.. فصداها الذي ترسّخ وتضخّم عبر السنين صار أكبر منا... أسماؤنا أكبر منا...

يوسف (منطقة الكذب):

التقارير تنجزها الدولة والأجهزة والمؤسسات... أما الأفراد... فهم أشباح. مُهمتهم التذكر فقط... يتذكّرون ما مضى وما يَحدث... وينتظرون أن يتذكروا ما سيأتي به المستقبل... تَسبقهم أسماؤهم فيَلهثون للحاق بها... عبثا... يموتون وتبقى أسماؤُهم تسخرُ منهم... أسماؤهم تظلّ مسجونة في السجلات والشهادات والذاكرات...

<u>هدى (منطقة اللاحقيقة):</u>

رغم أن الاسم لا يعكسُ تاريخ أي شخص فإنه بوابة هذا التاريخ... مَن لا يعرف ذلك؟ هذه من الأمور البديهية... وبديهي أيضا أن عِشق الاسم حظّ سعيد وأن كراهية الاسم مُصيبة مجانية...

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

لا وجود لنا قبل معرفة الاسم... تبدأ المعرفة بالنسبة لي لما عرفت اسمي... حتى وإن تأخر فهمي لتلك المعرفة... لكنها معرفة تسبق الفهم... تنتظر تربّع الفهم على عرش العقل...

المشهد الثالث

(حقيقة الحياة)

● صوت:

"وفي اليوم الثاني جمع شابٌ شجاعٌ من سكان القرية أهلهَا وحذّرهم من الغريب. وقال لهم إنهم لا يعرفون أصله ولا فصله. ولا وجود لأي مبرر يجعله يكلمهم أو يخيفهم فبالأحرى أن يحكمهم. وذكرهم بأن سكان القرية عاشوا مسالمين سعداء بدون هذا الغريب. وليسوا في حاجة لمساعدته. وذكرهم كذلك بروابط المحبة والإخاء التي تربط فيما بينهم وهي نفس الروابط التي كانت تربط بين أجدادهم وأجداد أجدادهم في الماضي. وقال لهم:

- أيها الناس، لا نعرف من أين أتى هذا الغريب. كما لا نجهل نواياه. ولن يُخيفنا بالنسر على يمينه وبالحمامة على يساره. فهو إما خبير بشؤون الحياة وإما ساحرٌ كبير. وفي كلا الحالتين لسنا في حاجة إليه ولا لسحره أو خبراته. وأدعوكم لرفض دعوته والتمرد عليه والثورة ضده وأنا أضع روحي فداء للقرية".

(موسيقى المجهول تملأ المكان. ثم تحل محلها موسيقى الحياد)

زينب (منطقة الحياد):

إذا كانت هناك حقيقة للشخص فهي كل ما عاشه في حياته... فحياته تشبه كتابا يكتبه وهو على علم بأنه لن يستطيع قراءته... لأن كل حدث يعيشه ينفلت منه ويبتعد عن حاضره ويُدفن في ركام الأحداث المتتالية... لكنه مع ذلك يعرف أن حياته التي هي مجموع ما قام به من أفعال وما اتخذه من مواقف هي حقيقته...

يوسف (منطقة الكذب):

إنك تقللين من قيمة الحياة بوصفها بكتاب... الحياة ليست كتابا... إنها خزانة كتب.. شبكة إنترنيت.. الحياة اليوم هي غوغل... الغول العالمي الذي صار هو الحياة ومصدر الحياة ومعنى الحياة.... ومعنى الحياة صار بِحارا من المعرفة... سنغرق فيها جميعا...

هدى(منطقة اللاحقيقة) :

هذا مستحيل... لا يمكن ذلك. هل للحياة هوية؟... هل الحياة هي المقاومة؟... للغول المعاصر... غوغل الوحش... كيف يمكن أن يكون هو الحياة... حياة البشر جميعا... إذا كان بدون هوية؟ هل سرق غوغل هوية الحياة؟... هل سرق غوغل حياتنا؟

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

أطنان من الوثائق المختلفة تشهد على أن الحياة بُحيرة من الدم... ومن الضياع... ومن الجراح... من نحن اليوم في هذه الحياة؟ وما هو مستقبلنا إن كنا سنجد أنفسها في عالم غوغل خارج الحياة ؟ وكيف سنواجه الحياة ونستمتع بها إن كنا خارجها؟

زينب (منطقة الحياد):

الانسان يتهرب من الفهم... يعدو بعيدا عنه... والفهم يلاحقه... كل التعريفات المختزلة التي يُعرف بها الإنسان: كائن عاقل، حيوان سياسي، كائن صانع... لا تدل على أية هوية...وإنما تدل على أنه الكائن الوحيد الذي يملك ملكة الفهم... لكن أي فهم؟ بطبيعة الحال فهم الحياة...

يوسف (منطقة الكذب):

هذا يعني أن التعريف الأهم للإنسان هو أنه كائن حيّ... بغض النظر عن الأسباب... يتقدم لأنه حيّ... يحب لأنه حيّ... يقتل لأنه حيّ... هل من سبيل لتطهير الإنسان من الحياة حتى يحيى بسلام... لقد عظموا الموت ظلما وعدوانا... يجب أن نعظم الحياة... هذا هو الحل... نتصالح مع الحياة... علينا أن نقبل الحياة حتى ولو أدى حبّنا لها إلى هلاكنا جميعا... لتبقى الحياةُ حياةً...

هدى(منطقة اللاحقيقة):

إذن علينا أن نستغني عن الأسماء ونحتفظ فقط بالأشياء، مادامت الأشياء واحدة والأسماء متعددة. فالأشياء هي أثاث الحياة... ما هو الشيء؟ وما علاقته بالحياة؟ فحياتنا هي مجموعة أشياء حسية ومعنوية... وهي الترابطات التي تتم بين هذين الصنفين من الأشياء... فهل هذا يعني أننا مجرد شيء مركب من عدة أشياء حسية ومعنوية؟

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

إن المسألة مَسألة رموز فقط. لا يجب أن نُبالغ. بعدد قليل من الرموز يمكن للإنسان أن يَحيى. كثرة الرموز لا تعني جودة الحياة. ما الفرق بين عالم وجاهل...؟ أيّ ميزان يَصلح للتميز بينهما؟ أليس هو ميزان الحياة؟ ألا تقود معرفة الحياة للجحيم؟ ويقود الجهل بالحياة للنعيم؟ لأن الجهل بالحياة هو استسلام مطلق للحياة بدون ندم ولا تأسف ولا انتظار ولا تذكر ولا اعتراض...

زينب (منطقة الحياد):

هذا لا يعني أن حياة حمار أفضل من حياة إنسان... وهذا لا يمنع الإنسانَ من أن يلعب دور الجاهل بالحياة... ومن السخافة أن يقدم الإنسانُ نفسه وكأنه بريء في هذه الحياة... لأن ذلك لا يخلّصه من التهمة الأبدية التي تلاحقه فوق هذه الأرض... لكي يكون الشخص بريئا يعني أنه يعرف أن هناك جريمة ارتكبت... وهذا في حد ذاته يكفي لكي يكون غير بريء... هل هناك إنسان واحد بريء في هذه الحياة... إذا كان أبُ البشرية جمعاء، أبُ الحياة... لا يتهربُ من كونه ليس بريئا؟

يوسف (منطقة الكذب):

هل هناك بريء في هذه الحياة التي نتعب في فهم معناها؟ إذا كان هناك بريء واحد في هذه الحياة فلن تكون هناك حاجة للشيطان؟ هل يمكن معرف حقيقة الحياة بدون معرفة حقيقة الشيطان؟ ما هي مهمة الشيطان بالتحديد؟ ما فائدة المجادلة في أفعال الشيطان إن كان لا نعرف حقيقته؟ من يعرف الشيطان حق المعرفة؟ هل جاهرَ أحدٌ يوما ما بأنه انخرط في حزب الشيطان؟ ها نحن نواجه الآن مسألتين صعبتين" حقيقة الحياة، وحقيقة الشيطان.

هدى (منطقة اللاحقيقة):

ما الحياة إذن إذا كان الشيطان جزءا من الحياة؟. إذا كانت الحياة مجموعة أشياء فهل الشيطان شيء مثل بقية الأشياء؟ أم هو جحيمُ الحياة؟ جهنمُ الحياة؟ سمّ الحياة؟ أين يُقيم الشيطان؟ هل يُقيم في الحياة كلها أم في أجزاء من الحياة؟ هل يمكن أن يُقيم الشيطان في المساجد والكنائس والمعابد؟ أم أنه لا يقيم إلا في الأماكن التي تُرتَكبُ

فيها الخطيئة؟ بالرغم من غموض الحياة فقد منحها الشيطانُ معنى: معنى الخطيئة والبراءة والصراع بينهما... تنتهي الحياة ولا تنتهي حياة الشيطان... هل يمكننا أن نتصوّر الحياة وحقيقة الحياة بدون وجود الشيطان؟

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

إذا كنا أبناء هذه الحياة... فلا شيء يمنع من وجودِ حياة أخرى موازية لهذه الحياة أو قبل هذه الحياة... لكن ما الفائدة من قول ذلك؟ إذا عَجِزَ الإنسانُ عن إدراك معنى الحياة... وإذا لم تسعفه الأسماء في ذلك... وإذا كان الشيطان جزءا من الحياة... وإذا كانتْ هذه الحياة هي الوحيدة التي نُقر بوجودها فلماذا تمتلئ حياتنا بعُقد الذنب والهَجر والخذلان وانتهاك المحرمات؟...

المشهد الرابع

(حقيقة التاريخ)

● صوت:

"وفي اليوم الثالث، عاد الغريب إلى القرية، وكان سكانها في انتظاره. كان منهُم المتشوّق لمعرفة المَزيد عن هذا الغريب، ومنهم من هو خائفٌ مما سيفعله هذا الغريب، ومنهُم من هو خائف مما سيفعله هذا الغريب بالسكان. عاد الغريب تَتبعُه وحوش الغابة، تأتمرُ بأمره. خافَ سكانُ القرية من وحوش الغريب. وقال لهم مرة أخرى إنه مُكلف بمهمة لصالحهم، وأنهُ لا يتحكم في حياته، وهو مُجرد مُنفّذ لمشروع كبير لصالح الإنسانية. وبعد ذلك تقدم منه أحد السكان وقال له:

- أيها الغريب، يوجد هنا بيننا شابٌّ حذرنا البارحة منك، وقال لنا إنه يرفضك ولا يصدقك وإنك ساحر أو خبير، وإننا لسنا في حاجة إليك ولا لخدماتك... فما هو ردّك؟

وأشار المتحدث بيده للشاب المعارض حتى يتعرّف عليه الغريب. وبإشارة خاطفة من الغريب أحاطت الوحوش بالشاب المعارض وقادته إلى حيث يقف الغريب الذي انصرف هو وحوشه وفي قبضته الشاب المعارض في حالة اعتقال".

زينب (منطقة الحياد):

ماذا لو كان الشيطان هو التاريخ؟ فقد كان دوما موجودا منذ وجود الإنسان الأول؟ قد يكون التاريخ هو الشيطان... لكن عالم الشيطان لا يليق بالإنسان. لا يليق بأي إنسان حتى وإن لم يكن عاقلا. فهل هذا يلزمنا بأن نترك الشيطان وشأنه؟ فلينظر كل منّا لتاريخه فما الذي سيجدُه؟ ألا يجدُ في تاريخه آثارا لعمل الشيطان... ترددٌ وكذبٌ وقتلٌ وخيانةٌ ومجاملةٌ وغضبٌ ونياتٌ سيئة ووعيٌ شَقِيٌ وندمٌ وأسفٌ وقتلٌ... نعم القتل... أليست هذه "أشياء" الشيطان... كيف يُمكننا مقاومة كائن

يعرف أكثر مما نعرف؟ كيف يُمكن أن نهزِمُ من تجرّأ على مُجادلة الله وتحدّيه؟

يوسف (منطقة الكذب):

ما قيمة التاريخ بدون الأخطاء التي يرتكبها شخصٌ مُعين؟ إذا أحصينا الأخطاء التي ارتكبت في هذه الحياة سنحصل على التاريخ... للتاريخ اسمٌ وحقيقةٌ وهو يعبَث بالحياة فلماذا لا يكونُ التاريخ هو مأوى الشيطان... المأوى الأكبر... قصر الشيطان الأعظم؟

هدى (منطقة اللاحقيقة):

التاريخ لا يُعوّض بأي شيء آخر... لأنه هو مجموع أشياء الحياة... أما الأفراد فيُعوِضُ بعضهُم بعضا... الحياة قصيرة... يقول الناسُ إن الحياة قصيرة. كم هو مُؤسف أن تكون الحياة قصيرة... ويكون التاريخ طويلا جدا... بالنسبة لكل شخص تبدو الحياة أقصرَ من التاريخ...

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

ربما كان الكلام هو أهم شيء على الإطلاق... لن يكون للأسماء والحياة والتاريخ معنى خارج كلامنا نحن عن هذه الأشياء، لا نوجه الكلام للتاريخ مثلما نوجهه لشخص معين فتوجيه الكلمة لشخص معين يشبه تهديدَه بالسلاح... أما التاريخ فهو لا يعبأ بالكلمات...

زينب (منطقة الحياد):

قد نخطئ في فهم التاريخ وحقيقته... لكن فظاعة الأخطاء لا تُحدد بعددها وإنما بفظاعتها... كلامٌ في غير محله يتسبب في فظاعات يعجز التاريخ عن تفسيرها...

يوسف (منطقة الكذب):

من الصعب أن نتفق على معنىً محددٍ بخصوص كلمة فظاعة، خصوصا إذا وصفنا التاريخ بالفظيع... فقتلُ شعب كامل أمرٌ فظيع بالنسبة للضحايا وليس فظيعا في نظرِ للمجرمين... هل يميزُ التاريخ بين المجرمين والضحايا؟... هل للتاريخ عقلٌ ووعيٌ؟

هدى (منطقة اللاحقيقة):

الفظاعة هي الفظاعة. القتل فظاعة. السجن فظاعة. الحرمان فظاعة. الإهانة فظاعة. العبودية فظاعة. الاستغلال فظاعة. الفظاعة لها معنى محددٌ طبعا. قد لا يكون حقيقيا. لكن المعنى موجود وفعّال... ولا توجد فظاعة خارج التاريخ...

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

الاستغلال ليس فظاعة. الاستغلال هو العامل الحاسم الذي طوّر البشرية... لا حضارة بدون استغلال... ولا حضارة بدون كبْت... ولا حضارة بدون حروب... ولا تاريخ بدون هذه الأمور جميعا... ومهما كانت الحياة قصيرة فهي أطول بكثير من الزمن الذي تستغره في الكون.

زينب (منطقة الحياد):

زمننا كبشرٍ ليس هو زمن الكون. لما يشعر المرء بأنه مُقبل على الموت... تتحول روحه إلى وحش فظيع يقاوم الموت بشراسة... وهذا يعني أنه مُصمم على البقاء في الحياة... لا نعرف هل الحياة تنتهي بالموت بالنسبة للفرد الواحد... أم أن الصراع ضد الموت... هو تعبير عن الانتقال من حياة إلى حياة... ما سبب رفض الموت؟... قد يكون هو الوهم الذي ترسخ في الجسد، والذي جعل الفرد يظن أن هذه الحياة أفضل من غيرها... لأن الحياة الأخرى مجهولة... وألِفَتْ حولها قصصٌ كثيرة مرعبة... الروح

البشرية لا تريد أن تُطرد من التاريخ... لذلك تتشبث به حتى حينما تَفقد الحياة...

يوسف (منطقة الكذب):

التاريخ رغبة الناس في أن يتركوا أثرا. الإنسان منبع التاريخ. التاريخ رغبة تنمو بين الصدق والكذب. وإذا كان الصدق طموحا بشريا يدعو له أنصارُ الأخلاق ورجالُ الدين والسياسيون فلأنهم يعرفون أن قول الصدق رغبةٌ أكثر مما هو واقع... ويعرفون أن الناس يختبرون الكذب باستمرار ولا يختبرون الصدق إلا رغبة وتمنيا... أليس هذا ما يقوله التاريخ؟...

هدى (منطقة اللاحقيقة):

وهل صار ما يقوله التاريخ قانونا؟ هل صار ما يقوله التاريخ معيارا؟

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

لا يتكلم التاريخ بِنية قولِ الحقيقة. وإنما يبحثُ عن مُبرر للاعتقاد بأنه معبدُ الحقيقة حتى وإن اضطرته الظروف للكذب... أليس للتاريخ الحق: في الكذب؟ ألا يجد الناس الأكثر التزاما بالأخلاق مُبررا للكذب باسم المصلحة التاريخية؟

المشهد الخامس

(حقيقة الصدق والكذب)

● صوت:

"وفي اليوم الرابع، اجتمع سكان القرية خائفين في الساحة الكبرى أمام أبواب القرية ينتظرون خبرا عن الغريب وعن الشاب الذي وشى به أحد السكان. فظهرت الوحوش متجهة نحوهم، ووراءها شخص واحد فقط يبدو من لباسه أنه الرجل الغريب، لكن لما اقترب منهم تبيّن لهم أنه الشاب الشجاع الذي يبدو أنه تعلّم قيادة الوحوش وترويضها... فهي تأتمر بأمره مثلما كانت تأتمر بأمر الغريب... وتسير بالوتيرة التي يريدها. فلما صار أمامهم، ساد صمتٌ رهيب، وانتظر الناس فك هذا اللغز. فقد كانوا يظنون أن هذا الشاب سيُعذب ويُنكّلُ به ويُلقى به فريسة للوحوش، ولكن يا للمفاجأة... ها هو الآن يقودها. أشار بيده إلى أنه سيخاطبهم... وقبل أن يتكلم تفرّقت الوحوش حول الناس وهو ما لم تكن تفعله من قبل، وصار الجميعُ الآن هدفا لها... تقدم الشاب إلى الأمام قليلا وقال لهم:

- أيها الناس، من الآن فصاعدا سأكون وسيطا بينكم وبين سيدي الغريب، هذا السيد العظيم، صاحب المقام العالي، الذي يُحبكم ويريد لكم الخير، والذي كلفني بأن أنوب عنه في تدبير شؤونكم.

وبمجرد ما انتهى من خطابه للسكان، أمر وحوشه بالقبض على شاب كان يضحك ساخرا منه، فاعتقلته الوحوش، وبعد ذلك مباشرة غادر الشاب الوسيط القرية هو ووحوشه والشاب الذي سخر منه في حالة اعتقال".

زينب (منطقة الحياد):

لكل مبرراته في التمييز بين الصدق والكذب... وهي مبررات ذاتية محضة... فالواقع لا يظهر للجميع بنفس الكيفية... ولعل فهم الواقع هو أساس الاختلاف في التمييز بين الصدق والكذب...

يوسف (منطقة الكذب):

بمجرد أن نتفق على أننا بشر... فإن ما ينطبق عليّ ينطبق عليك... ولا تشكل الاختلافات التي يبالغ الكثيرون في تقدير أهميتها إلا تنويعات لشيء واحد... وهو المصلحة... بل الواقع الوحيد الموجود الذي يعترف به الكلُ هو المصلحة... المصلحة هي المعيار الذي يساعد البشر على التمييز بين الصدق والكذب...

هدى (منطقة اللاحقيقة):

من يمثل الصدق؟ ومن يمثل الكذب؟ من قام بمساءلة جميع الناس ليعرف رأي كل فرد على حدة؟ كيف يمكن لملايين الناس أن يكون لهم رأي موحد؟ وما الفائدة من أن يكون للناس جميعا رأي واحد؟

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

لا بد من رأي واحد في أمور محددة. في القضايا المصيرية. ينبغي أن يُفرض على الناس بالاستبداد الرأيُ الواحد والوحيد لما يتعلق الأمر بهذه القضايا المصيرية إن تطلب الأمر ذلك. الذين لا يعرفون مصلحتهم العليا سوف يُجبرون على اتباع الطريق الذي يضمن لهم تلك المصلحة. العبرة بالنتائج. الصدق صدقٌ والكذب كذب ولا يوجد شيء بينهما...

زينب (منطقة الحياد):

ما هي هذه القضايا المصيرية يا ترى؟ لا توجد استثناءات. ولا توجد بدايات. ولا توجد نهايات. هذه مجرد خيالات ترسختْ في الأذهان بسبب قِصر الحياة الفردية. وخيانة التاريخ للناس. وعبثية الأسماء. لا وجود لبداية في أي مجال... الحياة هي مجرد استئناف... استئناف لشيء سابق.. وكأن الماضي هو الذي يصنع الحاضر... وهذا الغليان الذي يميز حياة الناس يجعلهم غير مستقرين على رأي...

يوسف (منطقة الكذب):

إنها عدالة التاريخ. وإنصافُ الحياة. إنصافٌ للأحياء. وإنصافٌ للأموات... مَن ماتوا يظلون أحياءً... هنا معنا وحولنا... نظن أننا تخلصنا منهم... لكنهم في الحقيقة انتقلوا من أجسادهم للسكن في أرواحنا... فالأرض مليئة ببشر مرئيين وببشر غير مرئيين. وهذا يُعقد معنى الحياة... ومعنى الحقيقة... الأموات الذين يحيون من خلالنا همُ الذين يفرضون علينا ما معنى الخطأ وما معنى الصواب...

<u>هدى(منطقة اللاحقيقة):</u>

إنهم يكررون حياتهم مرات متتالية من خلال حياتنا. لا ضرر في التكرار. التكرار سرّ استمرارية الحياة. كيف تستمر الحياة بدون وجود صدق وكذب...

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

التكرار مُمل. التكرار تكرار. إذا حمل التكرارُ جديدا فهو لم يعد تكرارا وإنما صار تجديدا... ما نراه تكرارا هو وهمُ التكرار لأننا لا نستطيع الغوص في أعماق ما حولنا... هل نكذب لأن الكذب ألطفُ من الصدق؟

زينب (منطقة الحياد):

لم يكن الصدق مفيدا لحد الآن في فهم الحياة والقبض على قوانينها المتحكمة في سلوك البشر... الناس يخضعون للقوانين القبلية... قوانين تنتظرهم قبل وجودهم... مثل اللغة التي تصير سجنَهم الأبدي... يظنون أنهم يتكلمون اللغة بينما اللغة هي التي تتكلم عبرهم... تجعلهم يأتمرون بأوامرها ويختارون معانيها ومفرداتها وفق قوانينها... لكن اللغة هي مدرسة الكذب... أين كان يمكنُ للناس أن يتعلموا الكذب لو لم توجد اللغة؟ لما يلجأ الناس للعبة المساومة الإرادية: قل لي حقيقتك لأقول لك حقيقتي... لعبة المساوة التي تعني أننا منذ البداية... منذ أول لقاء نَعرف أن هناك حقائق لا نحبها يُخفيها الآخر... ولا نريدها.. لكننا نبحث عنها... ونفعل كل ما في وسعنا لجعله يعترف بها... حتى تكون حجةً ضده للتخلص منه... لما يلجأ الناس للعبة المساومة فإنهم يعبرون عن جهلهم بقوانين الحياة...

يوسف (منطقة الكذب):

هناك أفكار غير نظيفة... كأن الإنسان بنى قصورا له في الذنوب والممنوعات... كأنه يفضل عالما تحكمه عصابات محترمة في أشكالها الخارجية... لكنها فتاكة بالبشرية... وهناك أسئلة قذرة... هذه الأفكار غير النظيفة هي الأكاذيب...

هدى (منطقة اللاحقيقة):

أسئلة قذرة تصير بفضل التكرار أسئلة نظيفة... بدون كذب لا وجود للحياة. إذا توقف الناس عن قول نفس الكلمات ونفس العبارات الضرورية حتى لا يتحاربوا فإنهم سيفقدون إنسانيتهم...

المشهد السادس

(حقيقة الصمت)

● صوت:

"وفي صباح اليوم الخامس، خرج سكان القرية مسرعين ومهرولين لما سمِعوا صراخ نساء آت من ساحة القرية، تجمع السكان شيئا فشيئا، إلى أن احتشد الجميع في الساحة أمام جثة الشاب المصلوب الذي اعتقله الشاب الوسيط في اليوم السابق. ظهرت على جثة الشاب المصلوب والمقتول آثار الجلد والتعذيب، وتبين للناس أنه صُلب عن قصد بطريقة متوحشة لتخويف سكان القرية، فدُقت مساميرٌ ضخمة في كفيه وفي قدميه ووسط صدره... بكى الكثيرون وحزن الكثيرون ورفعوا أكفهم إلى السماء طالبين النجدة من الله".

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

الإنسانية... هذا الحلم العظيم... هذا الجحيم... ماذا لو كانت خرساء... بدون صوت... مجرد حركات في الحياة بدون تاريخ... بدون آثار...

زينب (منطقة الحياد):

إذا كانت هناك أسئلة قذرة تخوض في القذارات... فلا يعني ذلك أن هذا مبرر لعدم الإجابة عنها... فقد تكون الأجوبة عنها نظيفة... تمكن من تطهيرها... لكن الأفضل هو أن لا تكون هناك أسئلة على الإطلاق...

يوسف (منطقة الكذب):

الأسئلة كماشة عملاقة تقبض بشراسة على عنق الحياة... أسئلة توجه التاريخ وتسحق الصمت... أكبر عدو للتاريخ هو الصمت... الصمت ليس عدوا للحياة... يمكن أن يعيش الإنسان بكرامة دون أن ينطق كلمة واحدة في حياته... الصمت قوة تم تدميرها باختراع الكلمات...

هدى (منطقة اللاحقيقة):

مسكينة الحياة. تشبه فتاة عذراء تُغتصب في كل حين. وتُعاد لها بكارتها ليتِم اغتصابها من جديد... حياة الحياة أفظع من جحيم جهنم... ما كان يمكن أن تغتصب الحياة لو لم توجد كلمات وأصوات تدل على بكارتها...

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

ماذا لو زينت الحياة بالصّمت؟ ماذا لو أخفى الناس الحياة في بيوتهم وفنادقهم؟ ماذا لو جعلوا الصمت عملتهم في جميع معاملاتهم؟

زينب (منطقة الحياد):

والضحك... والموسيقى... والاحتجاج... أية حياة بدون هذه الأمور؟

يوسف (منطقة الكذب):

الصمت يسلب من العقل رجاحتهُ... ويحول الحياة إلى رُكام صامت من الأخطاء...وبدل الحياة نحصل على تقارير صامتة عن عدد الحقائق... عدد الذنوب... عدد الحسنات... عدد الفقراء... عدد الضحايا...

هدى (منطقة اللاحقيقة):

الصمت. التكرار. صمت التكرار. تكرار الصمت. هذه تضحية بالحياة...

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

الصمت ليس جديدا. لكن لماذا سيبحثُ الناس عن الجديد إن كان الصمت والتكرار كافيين لتأثيث حياتهم؟

زينب (منطقة الحياد):

من أخطأ في حق الحياة... فهو لا يُخطئ في حق نفسه فقط... وإنما يخطئ في حق جميع الأحياء... ليس المشكلُ هو كيف يتصور الإنسانُ الأخطاء... فليتصور الناسُ الأخطاء كما يشاؤون... لكن لا بدّ من معرفة الضرر الذي يصيب الآخرين من الأخطاء المرتكبة في حق الحياة... لذلك ما كان من الممكن أن توجد أخطاء لو لم توجد كلمات لتسمية تلك الاخطاء: التسمية في حد ذاتها خلق للأخطاء...

يوسف (منطقة الكذب):

الأشياء اعتداء على الأسماء... أشعر بحرية بدون وجود الأشياء... الأشياء تستعبدني... تتحداني بنوع من الخلود الذي لا أفهم معناه... وتفضيل الأسماء يعني تفضيل الحركة... والتغير... وتقليصٌ لهامش التكرار... الأسماء تنطق... فهي لا تحتمل الصمت... إنها صاخبة مثل الحياة... ليست هناك حياة بدون صخب... أنا لا اطيق الصمت لأنه يفضحني... في الصمت أبدو على حقيقتي... أنا في حاجة للكلمات لكي أخفي الشر الذي بداخلي...

<u>هدى (منطقة اللاحقيقة):</u>

الصخب مُبارك. الحياة مُباركة. مبارك هو صخب الحياة. يعفينا الصخب من البحث عن معنى الحياة... الصخب سُكر الأرواح ودواءٌ للأجساد. الصخب صوت بدون كلمات... ها نحن نتقدم نحو الحقيقة... حقيقة حياة صاخبة بدون أسماء تخفي جمال الأشياء...

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

ما حقيقة الصمت؟ هل الصمتُ صامتٌ؟ أم له أصوات لا نسمعها؟ أم أن اصوات الصمت أضخم من أن نسمَعها؟ هل فهمنا فعلا الصمت؟ أليس الصمت هو ضامن الكلام؟ فكيف يمكن أن نفرق بين وجهين لعملة واحدة؟

المشهد السابع

(حقيقة الوحدة والتعددية)

● صوت:

"وفي اليوم السادس، نظم أحد الشبان لقاء سريا ضمّ مجموعة من الشباب في بيته داخل القرية. وقرأ عليهم تقريرا أعدّه عمّا يحدث لأهل القرية. وركز التقرير على التحاق الشاب الأول بالغريب وتحولِه إلى أداة طيعة في يده، يحكمُ من خلالها ويقمعُ ويقتل... وبعد استماع الحاضرين للتقرير، قرروا بالإجماع مغادرة القرية واللجوء لجهة سرية للتدريب والبحث عن الدعم، والعودة للقرية لتحريرها من الغريب وإنقاذها من الإبادة. واستمروا في العمل حتى الصّبح، وأسفر عمل هؤلاء الشبان الناقمين والراغبين في العدالة والحرية ومحاربة الظلم والانتقام للشاب الذي صُلب وقُتل، أسفر عملهم على برنامج يضم النقاط الأساسية التالية:

- المقاومة حتى النصر

- طرد المحتل ومحاكمة الخونة

- توعية شعب القرية من أجل أن يدافعوا عن قريتهم بقواهم الذاتية

- تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والفكرية

- اعتماد حقوق الإنسان كدستور للقرية"

زينب (منطقة الحياد):

ليست الأسماء هي التي تشكل خطرا على الحقيقة، وإنما استبدادها هو الخطر الذي يهدد الحقيقة. لأن الاسم الواحد يريد السيطرة على الشيء

الواحد... فكثرة الأسماء تزرَع الفوضى في المعنى ... والاسم الوحيد عنوانُ الاستبداد وطريقٌ لإفلاس العيش المشترك... الفكر الوحيد... اللغة الوحيدة... الجنس الواحد المهيمن... الذات الوحيدة... الجريدة الوحيدة... الحزب الوحيد... القائد الوحيد... الرأي الوحيد...

يوسف (منطقة الكذب):

أنا مع التعددية... الزوجية... لكني مع الوحدة العربية... والوحدة الأمازيغية... والوحدة الإسلامية... والوحدة العلمانية... والوحدة اليسارية... والوحدة اليمينية... والوحدة القومية... والقرية العالمية الوحيدة بفضل العولمة... والقطب الوحيد... ولكني مع التعددية الزوجية...

هدى(منطقة اللاحقيقة):

لا أمان بدون هوية. فهي التجسيد القديم للواحد والوحدة. ولا أمان مع الهوية. الهوية تخون الهوية. فهي تتأرجح بين الوحدة والتعددية. لا وجود خارج الهوية. بالرغم من أن الهوية افتراض. مجرد دائرة ذهنية تحولت من افتراض إلى سلاح فتاك...

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

الهوية تباع وتشترى. تُصنع وتُدمر. والوحدة أُمنية جميلة صارت جحيما ووبالا على الشعوب...

زينب (منطقة الحياد):

ولماذا التعددية الزوجية فقط... فلتتركها تعددية غرامية وجنسية وعاطفية ودينية وسياسية ومذهبية وعقائدية...

يوسف (منطقة الكذب):

هناك مجالات لا ينبغي أن تكون موضوعا للتشريع... ينبغي أن يعيش الناس حسب فطرتهم وسجيتهم الأصلية... مثل الوحدة والهوية والتعددية...

هدى (منطقة اللاحقيقة):

إذا تتبعنا هذا المنطق فلن توجد هوية ولا تعددية. ستصير المسألة مجرد وجهة نظر. يمكن أن يكون الشيء متعددا فنراه وحيدا فيكون كذلك في نظر من يراه كذلك. ولا أحد يمكن إقناعنا بعكس ذلك. فأنصار التعددية وأنصار الهوية تائهون في الحدود بينهما... هل هو إفلاس العقل في عقر داره القديمة؟...

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

أليس هناك سبيل آخر واضح وبسيط يمكننا من أن نعيش في سلام وفي أمان بدون هذه القضايا المزعجة التي أتعبتْ البشرية منذ قرون؟ ألا يكفي الصدق والكذب؟ ألا تكفي الحياة؟ ألا يكفي التاريخ لتحديد ما نريد وما لا نريد ومَن نحن وكيف نريد أن نعيش ومع مَن نريد أن نعيش بدون هروب عبر متاهات الجديد والقديم، الهوية والتعددية، التراث والتجديد، الذات والنّحن، الاصالة والمعاصر، الحداثة والتقليد؟

زينب (منطقة الحياد):

المصيبة التي أصابتنا هي أن هناك أشخاص نصّبوا أنفسهم مُشرّعين في مجال الهوية والتراث والتجديد والأصالة والمعاصرة... نيابة عن الجميع بدون أن يأذن لهم الناس بذلك... التشريع مُهم، بل له دور حاسم في استمرارية الجماعة البشرية... لوْ لمْ يوجد تشريع لبقي الإنسانُ في

مرتبة الهمجية... لو لم يوجد تشريع لما كان العيش المشترك مُمكنا... فالتشريع هو الذي حلّ محل القوة والعنف...

يوسف (منطقة الكذب):

الإنسان في حاجة للمؤانسة أكثر مما هو في حاجة للتشريع... الإنسان في حاجة للحبّ أكثر مما هو في حاجة للحرب والعلم... العلم والمعرفة مهدا الطريق للاستغلال... ما الذي جناهُ الناس من الهوية ومن التعددية ما دام القتل موجود والحرب موجودة والفقر موجود والاستغلال موجود والقلق موجود والبطالة موجودة...؟

هدى (منطقة اللاحقيقة):

الحب. الأنس. المؤانسة. الإمتاع. السلم. السلام.... هذا عالم الشعر وليس لغة الوقع... هل الواقع واحد أم متعدد؟ هل التعدد هو ما نقوله عن الواقع؟ أم أن التعدد نستخرجه من الواقع؟ هذه هي أسئلة العقل والواقع.

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

الواقع أعقد من كل التصورات المُعقدة... مهما تطور الفكر البشري وعبّر عن نفسه في أعقد النظريات فإن الواقع يظل أكثر تعقيدا... الناس في حيرة منذ أن وُجدوا فوق هذه الأرض... الناس حائرون حول معنى الحقيقة... وكلما شرحوا معناها كلما ازدادت تعقيدا... لا يميزون بين الحقيقة والواقع بين القديم والجديد... بين حقيقة القديم وحقيقة الجديد.. بين المستقبل والصدفة... بين المستقبل والقدر... الناس يرغبون في مستقبل جميل...يرغبون في الأفضل... انطلاقا من الواقع الذي هو رمز الأسوأ...

المشهد الثامن

(حقيقة الرغبة بين الوراثي والفطري)

● **صوت:**

"وفي اليوم السابع، طالب الشاب الوسيط بين الغريب وسكان القرية والذي صار يُلقب "بنائب الغريب ويده الضاربة في كل مكان"، طالب السكان بمده بأسماء المتمردين الهاربين الخارجين عن القانون المُهددين لمصالح القرية ولسكانها، والذين قد يَدفعون الغريب إلى تدمير القرية فوق رؤوسهم... وأقسم بأنه سيعتقلهم ويصلبُهم أمام أبواب القرية ويقتلهم شر قتلة... وقال لهم إن سيده يتحكم في البر والبحر والجو... وطالبهم بتقديم هدايا من المال والفضة والذهب والفتيات الجميلات "للحاكم الغريب والعظيم حكيم الزمان" حتى يسترضوه ويُخففوا من غضبه".

زينب (منطقة الحياد):

لما يَعجز العقل عن الإقناع يتسلح بالطبيعة والوراثة والفطرة. يقفز قرونا إلى الوراء ليتمسك بأصل مُتخيل... أصلٍ يراه دوما حيوانيا ومُنحطا... بالرغم من أنه من الممكن جدا أن يتخيلَ الإنسان أصلا روحيا... إنه يصرّ على أن يضع الانحطاط في البداية والتقدم في النهاية... لكن من خلال مجموعة من المؤشرات قد يكون الأصل هو التقدم والانحطاط هو النتيجة... قد نكون سائرين نحو انحطاطنا...

يوسف (منطقة الكذب):

الطبيعة صخرة عنيدة... الفحولة وراثية... التفاوت الطبيعي حظ طبيعي وهِبة من الله... قدرٌ محتوم وتفوقٌ تلقائي...

<u>هدى (منطقة اللاحقيقة):</u>

هل من معادلة رياضية تبسط لنا الطبيعة وتجعلنا في مأمن من شرها؟

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

حين يقول شخص ما: غدا سأزور صديقة أو صديقا... غدا سأشتري بنطلونا... غدا سأذهب إلى المقهى... غدا سأصلي... فهو يعبر عن رغبة شخصية. وليس عن رغبة طبيعية. هل هناك رغبات طبيعية؟ طرحتُ على نفسي هذا السؤال باستمرار. بدا لي أن الطبيعة هي أمّ الرغبات. لكن التاريخ يكذبني. فهناك رغبات لم تكن موجودة قديما. وهناك رغبات ماتت بموت الراغبين فيها.

<u>هدى (منطقة اللاحقيقة):</u>

تشبه الرغبة نهرا تجرفُ مياهه ما ألقيَ فيها. فتصير المياه والنهر والأشياء التي ألقيت في مياه النهر شيئا واحدا. الرغبة عالمٌ أتانا من السماء لكن جذوره متجذرة في الأرض. وأفقُه هو اتجاهُ مياهِ النهر. ليس بعيدا عن الصواب القولُ بأن الرغبة هي ما انفلت من الجسم بفعل التاريخ للتعبير عن الحياة في لحظات محددة بالنسبة لشخص محدد...

زينب (منطقة الحياد):

الواقع يخيبُ آمال الرغبة... من منا لم يجرب خيانة الواقع لرغباته؟ لكن الواقع ليس هو الطبيعة؟ فكرة الطبيعة ليست طبيعية... هل لا يزال هناك شيء يمكن نعته بالطبيعي؟... الطبيعة وهمٌ يرعاه الناس خوفا من صدمات الواقع... والواقع هوَ الناس والأمكنة والمأكولات

والموسيقى والدولة ورجال الدين والمناضلون والجواسيس والجن والحقوقيون والشيطان...

يوسف (منطقة الكذب):

إذا خُيرتُ بين الواقع والطبيعة سأختار الطبيعة... وإذا خُيرتُ بين الطبيعة والحياة سأختار الطبيعة... حتى وإن كانت الطبيعة مجردَ وهم... فهي مأوى الرغبات بالرغم من كل ما قيل عن تآمر التاريخ على الرغبات.

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

قد يكون الاختيار عاديا لو كان الشخص يملك ضمانة...

هدى (منطقة اللاحقيقة):

الضمانة هي أن الشخص سليم صحيا ولا توجد حرب ولا جائحة ولا مرض فتاك...

زينب (منطقة الحياد):

لا نستطيع أن نحدّد المسؤول الحقيقي عما يُصيبنا من مصائب وأوبئة وجائحات وكوارث... المسألة معقدة جدا... ها نحن في قلب مسألة تاريخنا ورغباتنا وحياتنا...

يوسف (منطقة الكذب):

قال الحكماء قديما أن هناك أنواع من الرغبات... رغبات طبيعية ورغبات تافهة لا فائدة منها... رغبات طبيعية ضرورية... رغبات طبيعية غير ضرورية... لكن بالنسب لي الرغبات نوعان: رغبات نبيلة ورغبات

خِسيسة تفتقدُ للعظمة والكرامة والسمو... من يقبل الحياة في ظروف حيوانية لا يمكن أن تنبثق منه رغبات إنسانية...

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

الرغبات لا تأبه بالطبقات ولا بالمناصب ولا بالقوة أو الضعف... والرغبة التي لم تتحقق بالأمس ستتحقق في المستقبل... فالغد بالنسبة للإنسان ليس مجرد وهم... وتخمين... ومُقامرة... الغد هو مأوى الرغبات...

هدى (منطقة اللاحقيقة):

كم من الرغبات ينبغي تحقيقها لمعرفة حقيقة الرغبة؟ رغبة الزاهد في الزهد تكفي لمعرفة حقيقة الزهد. ورغبة القوي في استعمال قوته تتجلى في تحقيق هذه الرغبة عبر القوة والانتصارات فيتمكن من معرفة هذه الرغبة، ورغبة العاشق في أن يُعشق تتضحُ حقيقتُها لما يتحقق العشق بالنسبة للعاشق... لكن هل يكفي كل ذلك لمعرفة حقيقة رغبات الحياة؟

المشهد التاسع

(حقيقة المصلحة)

● صوت:

"في اليوم الثامن، وصلت أخبار سارة للقرية عن الشبان المتمردين، تقول تلك الأخبار إنهم بخير، وإنهم صاروا أقوياء في العُدّة والعدد، وإنهم عازمون أكثر من السابق على هزم الرجل الغريب المستعمِر لقريتهم وهزْم الخونة الذين يساعدونه ويمارسون التخويف والترهيب والاستبداد. وانتشرت هذه الاخبار كانتشار النار في الهشيم. وتبادل السكان التهاني فيما بينهم، وتخلصوا من الخوف، وصاروا يتحدثون عن المُعارضة وعن التمرد والثورة، وعن الفجر الجديد والغد المشرق والمستقبل الواعد. وفُتحت نقاشات حول طبيعة النظام السياسي الذي سيقيمه الشبان المتمردون... هل هو ليبرالي أم ديمقراطي أم إسلامي أم علماني أم قومي اشتراكي؟... واختلفوا في هذا الشأن، وتكوّنت جماعاتٌ وأحزابٌ تناصرُ الشبان المتمردين، وتستعد لمعارضتهم في نفس الآن".

زينب (منطقة الحياد):

الرغبة والمصلحة أمران لا ينفصلان. الناس يرغبون في التمتع بالسلامة عِوض التورط في تبني رأي أو التعبير عن ادّعاء يجلبُ لهم المضرة ويضر بمصالحهم... كيف لي أن أبالغ في تحقيق الرغبات إذا كان ذلك سيضر بمصالحي؟ هل يحتاج الإنسان المعتدل لجهة خارجية تحمي رغباته وتضمن مصالحه بالرغم من اعتداله؟

يوسف (منطقة الكذب):

الدولة هي التي تضمن مصالح للمواطنين.. حرية الرأي مصلحة مضمونة... حرية الاعتقاد الديني مصلحة مضمونة... بفضل الدولة. إذا تناقضت مصلحة الدولة مع مصلحة الفرد فلن نضحي بمصلحة الدولة. الفرد عابر والدولة باقية. المجد للدولة والسلامة للفرد.

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

السؤال الوحيد الجدير بأن يُطرح والذي يفرض نفسه على شخصين عاشا معا مدة طويلة هو: لماذا يستمران في العيش معا؟ لماذا لا ينفصلان؟ لماذا يُصران على البقاء معا؟ وبتعبير أوضح: ما هي مصلحتهما في الاستمرار في العيش مها؟ وهل يمكن أن تكون لهما نفس المصلحة؟

هدى (منطقة اللاحقيقة):

العيش معا ضرورة مهما كانت المبررات لجعله اختيارا. هو ضرورة لأنه يحقق المصلحة الكبرى: مصلحةُ تعبيرِ الإنسان عن إنسانيته بالعيش مع الآخرين. قد يعيش شخصان معا دون أن يكونا قد اختارا ذلك. وقد يختاران ذلك ثم يندمان على اختيارهما. وقد يختاران ذلك ولا يعيشان معا. وفي جميع هذه الحالات فإن المصلحة تشبه قدرا يتجاوزهما ويعمل لصالحهما معا رغم كل المشاكل والآلام والمآسي التي تحدثُ لهما.

زينب (منطقة الحياد):

المصلحة هي حصان السياسة. لا أحب السياسة. أجدها وقحة. ومصدرَ مشاكل. الإنسان العاقل هو الذي يتجنب المشاكل. وما فائدة تحقيق المصلحة التي لا تلغي المشاكل؟

يوسف (منطقة الكذب):

المصلحة يحددها الاستحقاق. أما الوطن فهو للجميع. بالرغم من تعدد الحقائق بِتعدد الأفراد فإن حقيقة الوطن واحدة. ولا ينبغي العبث بالوطن من خلال التفرقة بين الناس بدعوى أن المواطنين ليسوا متساوين في وطن يُقال لهم أنهم متساوين فيه.

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

يتحدث الجميع عن الحرية... وعن المواقف... وعن الآراء... وعن الرغبات... ولا يفصحون عن ما يبررُ حديثهم هذا. فما الذي يدفعهم للحديث عن هذه الأمور؟

هدى (منطقة اللاحقيقة):

المصلحة.

زينب (منطقة الحياد):

الرغبات فردية. والمصلحة الناتجة عنها فردية أيضا. أما المصلحة من الحرية فيُحددها القانون إذا كانت تتعلق بالمجتمع. أما إذا كانت تخص الفرد فإنها تُمارَس داخل المجال الخاص وليس في المجال العام. أما المواقف والآراء فهي مبادئ وقناعات. لماذا نربطها بالمصلحة؟

يوسف (منطقة الكذب):

من مصلحة المواطنين أن تتدخل الدولة في كل شيء. أن تقنن كل المجالات. أن لا تترك أي مجال لعبث الأفراد. على الدولة أن تتحمل مسؤوليتها في تحديد الرغبات التي يُسمح للمواطنين بالتعبير عنها والرغبات التي ليس من المسموح لهم التعبير عنها. وبما أن الناس طبقات فلا بد أن تكون هناك استثناءات...

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

المصلحة. المصلحة. ما هي هذه المصلحة بالتحديد؟ كيف نعرف أنها مصلحة وليست رأيا أو نزوة أو مجرد خيال؟

هدى (منطقة اللاحقيقة):

لنضعْ قائمة تضم جميع المصالح لنحصل على الجواب.

زينب (منطقة الحياد):

وما فائدة قائمة تضم جميع المصالح إذا كانت المصالح فردية وشخصية؟

يوسف (منطقة الكذب):

من الصعب أن نجد أمرا شخصيا لا يمكن للدولة أن تتدخل فيه لمصلحة الفرد...

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

المصالح متعددة ومختلفة: الخوف، المال، الجنس، الاعتماد على الآخر، تخويف الناس بالآخر، رد الاعتبار، العادة، ضرورة وجود أنيس ومُحاوَر، الملل، التباهي، الاستغلال...

هدى (منطقة اللاحقيقة):

يبدو أن المصلحة هي الحياة. ها نحن ندور في دائرة مغلقة. نعرف الحياة بالتاريخ والتاريخ بالطبيعة والطبيعة بالواقع والواقع بالرغبة والرغبة بالمصلحة... متى نخرج من هذا المأزق؟

المشهد العاشر

(حقيقة الزمن)

● صوت:

"وفي اليوم التاسع، استيقظ سكان القرية على أصوات غريبة وعلى ضجيج لم يسمعوا مثله من قبل... فتبيّن لهم فيما بعد أنها أصوات آلات حربية وحيوانات مفترسة وطلقات نارية... فخرجوا جميعا رجالا ونساء وأطفالا وشيوخا ليشاهدوا بشكل مباشر ما يحدث أمان أبواب قريتهم.. كانت دهشتهم عظيمة لما شاهدوا "الشاب الوسيط نائب الرجل الغريب ويده القوية" مصلوبا في نفس المكان الذي صُلب وقتل فيه الشاب الذي سَخر منه... ثم صُدموا لما شاهدوا الرجل الغريب الذي حكمهم بدون إذنهم مصلوبا ومقتولا... كانت الدماء تغطي الجثتين... وكان الشبان المتمردون الثائرون الذين حرروا القرية واقفين بفخر واعتزاز يتأملون فرحَ السكان... وبعد وقت قصير أمر الشبان المتمردون المحررون بتنظيم حفل كبير أسموه حفل الاستقلال.. ورقص الناس وغنوا وأكلوا وشبِعوا وعبروا بحرية عن آمالهم وطموحاتهم... وطالبوا بالتعليم والصحة والنقل والشغل... وطالبوا بالتصنيع وتحويل القرية إلى بلدٍ متقدم اعتمادا على العلم والتكنولوجيا والأخلاق والسلام... ولم يعترضْ أحد على مطالبهم وطموحاتهم".

زينب (منطقة الحياد):

ربما كان الزمنُ هو السبب. هو الأصل. هو المشكل. الزمن الذي يجمع بين شخص وآخر... وليست الرغبة ولا الإرادة... ولا حتى المصلحة... لكلٍ زمنه الخاص به. فمنّا من يوجد معنا ويعيش مع الغابرين... ومنّا من يعيش معنا ويعش في القرون المستقبلية...

يوسف (منطقة الكذب):

لا ينبغي أن نترك الزمن ليعبث به العابثون... فالعبث بالزمن قد يؤدي إلى نفي الماضي والتراث والهوية...

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

الزمن مجرد دليل. مجرد منسق للتراتب والتعاقب. هذا يعني أن التواجد معا ليس هو العيش معا.... وكأننا نعيش معا في الوقت الذي نحرص فيه كل الحرص على أن يكون غيابنا عن بعضنا هو أساس حضورنا مع بعضنا... فكرة غريبة... يمكن فعل ذلك بفضل الزمن... التَّعْجِيل، الإسْراع، التَّقْديم، الاسْتعجالّ، الإرجاء، الإِمْهَال، التَأْخِير، التَسْويف... وباختصار: الغياب والحضور... الغياب.. هو أن لا يجسد الإنسان حياته بأفعال مُفعمة بالحياة.. هو أن يترك مكانه في العلاقة مع الآخر شاغرا... كقبر للموت... موت تائه... يأتي ليستقر في حياة غائبة... وإذا لم يكن الغياب هو الموت فهو رمز قوي من رموزها...

<u>هدى (منطقة اللاحقيقة):</u>

غياب... حضور... حضور... غياب... هذا هو الزمن في آخر المطاف. الحضور ليس دائما هو الحضور الذي نرغب فيه... نحن نحضر بإرادتنا... لكن قد يشعر الآخر أنه مُجبر على الحضور معنا وبقربنا وأمامنا... فيختار الشتم والضرب والخداع كتجسيد مفضل لحضوره... حضور يبشر بموت... بغياب فظيع...

زينب (منطقة الحياد):

لن يصيبنا مكروه من الزمن مادام كل واحد منا يحلم حسب جهده وطاقته. وكل واحد منا مسؤول عن أحلامه وعن تأثير أحلامه عليه. ليس الزمن إلا فضاء نسبح فيه لنعيش رغبات وأحلام...

يوسف (منطقة الكذب):

من الأفضل للناس أن يأخذوا الزمن بجدية. فالزمن المخيف هو الزمن السياسي الذي يعجز الأفراد عن التحكم فيه لأنه زمن الدولة. الزمن الجماعي من مسؤولية الدولة ويمكنها باسم المصلحة العامة أن تجعل الماضي حاضرا وأن تؤجل المستقبل وأن تغيّر ملامح الحاضر ليبدو وكأنه زمن آخر.

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

بالرغم من توحش حضور الزمن... أليس هو أفضل من غيابه...

<u>هدى (منطقة اللاحقيقة):</u>

هذا تقديس للحضور... حتى وإن كان بداية للنهايات... بما فيها نهاية أي حضور...

زينب (منطقة الحياد):

لا أرى فائدة كبيرة في التركيز على الحضور والغياب.

يوسف (منطقة الكذب):

الحذر كل الحذر من كل تفكير يخدم المصلحة الفردية. المصلحة العامة تعلو على كل مصلحة. إذا كان الحضور أفيدَ للجميع فمرحبا بالحضور، وإذا كان الغياب شرا فعلينا تجنبه...

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

الغياب لا يشبه الموت فقط... وليس مجرد رمز من رموزها... الغياب هو قبر الموت الذي أعد وتُرك في قاعة الانتظار... قبر ينتظر... مجيء الغياب ليملأه حضورا... حضور الموت...

هدى (منطقة اللاحقيقة):

الزمن هو زمن الحياة. وهو أيضا زمن الموت. فأي الزمنين أفضل لنا وأهم لمستقبلنا؟

المشهد الحادي عشر

(حقيقة الموت والحياة)

● صوت:

"وفي اليوم العاشر، خرج سكان القرية كالعادة من قريتهم ليتوجهوا لأماكن عملهم، فشاهدوا الغربان والنسور تحلق فوق مكان الصلب والقتل، اقتربوا من المكان ليعرفوا السبب، وتفاجؤوا لما رأوا جثث الشبان المتمردين المُحررين الواحدة فوق الأخرى، وانتبهوا إلى وجود شاب واحد فقط منهم يراقب الجثث والسكان وقد أحاط نفسه بجنود كثيرين، تأكد للسكان أن هذا الشاب قد قتل رفاقه واستولى على الحكم وحده... حزَن سكان القرية وعاد الخوف من جديد ليسيطر على القلوب، وأُغلقت الأفواه. عاد السكان إلى منازلهم صامتين حزينين بسبب ما حدث للشبان المتمردين... وبينما هم عائدون إلى منازلهم سمِع بعضُهم شابا صغيرا يقول لرفيقه: لقد حان دورنا".

زينب (منطقة الحياد):

يمكن أن نفضل زمن الموت على زمن الحياة... فالموت سكينة والحياة ضجيج... والضجيج صِنوٌ للقلق... والإزعاج والانزعاج... لكن محبة الحياة دليل على السلامة العقلية والنفسية وعلى التوازن النفسي والعقلي...

يوسف (منطقة الكذب):

تحتاجُ الحياة لمُنتجين جديين وكادحين وشغالين ومبدعين... وهذا وحده يحسم الأمر بخصوص أفضلية الحياة على الموت...

عبد اللطيف(منطقة الحقيقة) :

الأفضل أن نبقى داخل الحياة... فلكي نتحدث عن الموت ينبغي أن نسافر خارج الحياة... وهذا أمر صعب جدا...أمر مستحيل... كيف نتحدث عن عالم لا نوجد فيه... هذا مستحيل حتى من باب الافتراض... إن التعب والفشل والملل هي الأسباب التي توهمنا بأننا يمكن أن نتحدث عن الموت ونعرف الموت ونعقلن الموت... الضعف البشري هو مبرر الحديث عن الموت...

هدى (منطقة اللاحقيقة):

إذا كانت الحياة هي الوجه الآخر للموت... والموت هي الوجه الآخر للحياة... إذا كان الارتباط بين الحياة والموت ارتباطا عضويا... إذا كانت الموت تخرج من الحياة والحياة تخرج من الموت... إذا كانت هناك قناطر غير مرئية تربط بين الحياة والموت... فإنهما يوجدان في عالم واحد؟

زينب (منطقة الحياد):

لكل قضية مرجع. ومرجع الحياة هو الموت. ومرجع الموت هو الحياة. وهنا المعضلة. لا يوجد طرف ثالث بين الحياة والموت لإبراز حقيقة كل من الحياة والموت.

يوسف (منطقة الكذب):

نحن مطالبون بمحبة الحياة لأننا لن نستفيد من الموت. لكن لا بد من وجود أشخاص يُضحون من أجل الآخرين لذلك يجب أن نُمجد موتهم ونعتبرها تضحية وطنية.

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

العالم الواقعي هو عالم الحياة... وليس عالم الموت... العالم الآخر غير موجود إلا افتراضا... وبما أنه افتراض كثُرت حوله الأقاويل ونُسجت حوله الحكايات... فقد صار موضوع تشكيك ونقد وتهويل...

هدى (منطقة اللاحقيقة):

فالحضور والغياب إذن مجرد حكاية من الحكايات الزمنية الافتراضية... فما هو الأصل إذن؟ ما هو الأصل الذي تستقر فيه الحقيقة؟...

زينب (منطقة الحياد):

ما أجمل حكايات الحياة التي لا حرب فيها ولا نقاشات متعبة.

يوسف (منطقة الكذب):

الخبراء يَعرفون حقيقة الحياة وليسوا مجبرين على قولها للعموم إذا كان حجبها يحمي المصلحة العامة. أما حقيقة الموت فلا يأبهون بها. ليس لأنهم يعجزون عن الحقيق فيها ولكن لأنهم لا يجدون مصلحة في ذلك.

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

إذا أراد الإنسان أن يرى بعينيه الحضور والغياب.. ويرى عالم الحقيقة الملموس... إذا قرر الاستسلام لقوة الحضور والتخلص من رعب الغياب... إذا أراد الاستحمام في ضجيج المشاعر وفوران الشرايين ونبضات العضلات فلا بد له من إتقان لغة الحكايات...

هدى (منطقة اللاحقيقة):

عالم الحكايات هو عالم التحايل. نحن نفضل التحايل في كل شيء... التحايل هو العملة المعمول بها في عالم البشر... نتحايل على الحقيقة باستعمال الكذب... نتحايل على المتعة واللذة باستعمال الحب... نتحايل على الثروة باستعمال الزهد... نتحايل على الأخلاق باستعمال الديماغوجية...

زينب (منطقة الحياد):

الصراحة أفضل من التحايل. لن يؤدي التحايل إلا للكذب.

يوسف (منطقة الكذب):

الكذب ليس أمرا قبيحا في ذاته. فقد تبرره الظروف... خاصة الكذب الجميل في الحكايات...

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

نحن في حاجة لحكاية جميلة عن الإنسانية الواقعية... حكاية جميلة تجعل تحقيق المنفعة متعة وليس استغلالا... الكل يجري مسعورا لتحقيق المنفعة... وفي نفس الوقت يرفع شعارات ضد المنفعة من أجل تحقيق المنفعة... لا سبيل لتجميل المنفعة إلا الحكايات الجميلة التي تلعب فيها الحياة دور الساحرة...

هدى (منطقة اللاحقيقة):

نحن في حاجة لحكاية جميلة لتضمّد الجراح... جراح الإنسانية عميقة وسحيقة... وأكبر دواء هو الاستسلام... لن نكون أفضل من الذين سبقونا... وأجمل استسلام هو الذي يتحقق في نهاية حكاية ساحرة

تسحر العقل وتجمّل الواقع وتغيّر التاريخ وتحوّل الزمن إلى موسيقى مُهدئة للأعصاب...

زينب (منطقة الحياد):

نحن في حاجة لحكاية أبطالها حيوانات وبشر... التصالح العظيم بين جميع مكونات الحياة... أشياء الحياة لا تتجزأ...

يوسف (منطقة الكذب):

إذا لم تحقق الحكاية مَصلحة معينة فلن تكون لها قيمة...

عبد اللطيف (منطقة الحقيقة):

أجمل الحكايات هي الحكايات التي تتحدث عن الحب... هي تلك التي تُنسينا الواقع... إذا كان الواقع وحشا فكيف ستكون حقيقته؟ الواقع هذا الذي نراه ولا نستطيع التعبير عنه... أما حقيقته فنحن نتخيلها فقط.. لذلك قد تكون الحكايات هي السبيل الوحيد لجعل الواقع حديقة نرتاح بداخلها...

هدى (منطقة اللاحقيقة):

هل الحب مجرد وسيلة لحجب الواقع... للقفز عن الواقع... لتحمل الواقع؟ أليس للحبّ هدفا في ذاته؟ ألا يحقق لنا الحبّ السعادة المثالية؟ ألا ينجينا من أنفسنا؟ ألا يمنحنا الصمود ضد نزوعنا للانتحار هروبا من أنفسنا؟ أعداء الإنسان الثلاثة: القانون... الانتظار... والحقيقة... وهي كلها أقنعة للواقع... علينا أن نرضى بالقناع إذا كان أرحم بنا...

عبد اللطيف(منطقة الحقيقة):

حين يعلن الناس اكتشاف الواقع... ستكون نهاية العالم... لأنهم سيُحرَمون من الحقيقة... سيُحرمون من الاستمتاع باختفاء الحقيقة... من نحن حتى نملك الحقيقة؟ من نحن حتى نحلم بامتلاك الحقيقة؟ من نحن حتى نتجرأ على الحقيقة؟

(يدخل الشخص المجهول على وقع موسيقى المجهول، يدور عدة مرات حوالي الأشخاص الذين تمترسوا داخل دوائرهم. ثم بإشارة منه يصفون بنفس الترتيب السابق إبان دخولهم الساحة، ويأمرهم بالخروج، فيخرجون على وقع موسيقى المجهول).

●●●

أنوثة بمذاق المطلق

(مسرحية)

(فضاء أضيء إضاءة قوية تعكس قوة الحياة. موسيقى تبدأ هادئة ثم يتزايد صخبها شيئا فشيئا. تظهر فتاة من مكان ما من هذا الفضاء. تعبرُ المكان جيئة وذهابا بهدوء وثقة. في تناغم مع لحن الموسيقى السائد. تحتار الفتاة أين تقف. إناث أو خيالات إناث يعبرن المكان ببطء ثم بسرعة تزداد شيئا فشيئا حتى تصير هستيرية. في اندماج مع الموسيقى ودقات طبول وصراخ آت من كل اتجاه من حين لآخر. يشبه المشهد جنازة فرحة، أو موتا ينبئ بميلاد. يتضح أن الفتاة تعيش صراعا بينها وبين نفسها. فهي اثنتان في واحدة. ثم تتحول شيئا فشيئا إلى إناث كثيرات في واحدة. وحدة الأنثى التي تدافع عن النوع لكنها تحمل في ذاتها نقيضها).

الفتاة:

(تتيه في المكان. تبحث عن مكان تقف فيه. تتردد. الموسيقى تترجم ترددها. يتضح التردد عليها من حركات جسدها).

أنا اسمي حواء. بنت حواء. بنت حواء. لم يوجد كائن آخر مع حواء. كانت حواء هي الدنيا. أنا بنت الدنيا. أنثى بنت أنثى بنت أنثى إلى ما لا نهاية.

البارحة فقط شككتُ. شككتُ في من أكون. في ما كنتُه منذ سنين. عمري عمران. عمر زمني. وعمر جنسي. عمر النساء.

أنا قبل البارحة كنتُ أنا. كانت أنا هي أنا. قبل البارحة فقط. كان الزمن خطيا. ينساب بسهولة من آدم إليّ. أنا كنت ابنة آدم. لكن منذ البارحة صرت ابنة حواء. وحدها. لا آدم بعد اليوم. آدم صنع آدم. وحواء مشات بين الرّجْلين.

ما كان لحواء أن تشك إلا لأن آدم فْقَسْها. طَرطقْ ليها المرارة. فالشك نسوي حين يكون خالصا لوجه الله. لوجه الحق. فين يبانْ شك ديكارت. تاريخي مَنسيّ. مَقصي. مُهمش. مَجْلي بِينْ السنوات لّي تلف ليها الخيط.

تاريخي مكتوب ليُمحى. ليُغسَل بأشد أنواع المواد الكيماوية فتكا لتحريره من بكتيريا آدم.

العجوز:

وحْنا مالنا. هادشي لّي بقى لْنا، غير نسوْلو شكون سبق آدم ولا... شنو سميْتْها؟ هاد الكلمة بعدا عندنا ف المغرب راها عيبْ... شكون لّي سمّاها؟ ݣاع ما كاينَا سميتها فالقرآن... عمرني ما سمعت شي آية فيها هادْ السمية... كاين غير الشجرة وآدم و... زَوْجُهُ...

(تنتقل الفتاة للجهة اليمنى من المكان)

الفتاة:

(الفتاة غاضبة. كأنها سمعت أمرا مُنكرا. حراما. ممنوعا. كأنها طُعنت في ضميرها).

لا. أنا بنت أبي. أخت أخي. بنت جدي. بنت عمي. بنت خالي. ملك زوجي. خادمة بعلي. آمة سيدي. محظية ذكور... أنا بنت آدم الذي كان سيد حواء.

أنتِ لم تشكي. أنتِ انحرفت عن خط حياتك. مالْ بيك الشواري. خرجو رجليك من الشواري. كبرو كتافك. طغيتي.

كفر. كفر. انحراف. تْصَعْليك. شبعتي ماكلة. ماكلة ديال لكتوب. شكون لي قرّاك. إبليس. الشيطان. عزازيل. الوسواس. الخناس.

مْنين جيتي؟ آش من طاسيلة عندك؟ شكون لي كايعرف تاريخ طواسلك وطواسل طواسلك؟ لّي فهمات جوج حروف تُهاجمُ الاستقرار والتوافق والتفاوت الطبيعي وحق آدم في التفوق والسيطرة. هادي تكلمات "على الوجه العاري للمرأة العربية"، وعن "امرأة عند نقطة الصفر"، وعن "موت الرجل الوحيد على الأرض"، وعن "الأنثى هي الأصل". وهاديك تكلمات على "حَيرةُ مسلمة"، وعن "ناقصاتُ عقل ودين"، وعن "وليس

الذكرُ كالأنثى"، وعن "شَوْق، قراءة في أركان الإسلام"، وهاديك تكلمات على "سلطانات منسيات"، وعن "ما وراء الحجاب"، وعن "شهرزاد ترحل للغرب"، وعن "الحريم السياسي"، وعن "هل أنتم مُحصنون ضد الحريم"، وعن "شهرزاد ليست مغربية"، وهاديك كتبات على "بُرهان العسل"، وهاديك كتبات عن "عابر سرير"، وعن "فوضى الحواس"، وعن "ذاكرة الجسد"، وتناسلن بلا انقطاع بْحال الفيضان: "تاء الخجل"، "خارج الجسد"، "رائحة القرفة"، "مرافئ الوهم"، "أصل الهوى"، "إغواء امرأة"، "قضم ظهيرة مقددة"، "الغلامة"، "المحبوبات"، "أنا هي أنت"، "مريم الحكايا"، "اكتشاف الشهوة"، "على صدري".... هذا عصر طغيان الحريم. وغدا سوف تعلنُ امرأة عن نبوتها وتأتينا بدين جديد: دين حواء العظمى؟

(تنتقل للجهة اليسرى)

الفتاة:

لم يعد آدم يستعمرُ لساني. فلتسمعي حكاياتي. قد لا تزيدك إلا تطرفا في كراهيتي. وتُعمقُ عبوديتك لآدم الذي تحررتُ منه، وأدركت ألاعيبَه. حكاياتي كثيرة. فأنا تعدّدٌ في وحدة، كثرةٌ في نوع واحد. اختلافات في تجانس. لن ننتظر حتى الغد لتعلن حواء عن نبوتها. لقد كانت حواء إلهة منذ القديم قبل أن يسود آدم ويتجبّر.

كان الكون. لم يكن ناطقٌ قد خُلق بعد. لكن الكون كان كافيا ليكون. وكان كافيا لكي يوجد الوجود. غير أنه في الحقيقة كان يَنقصهُ الوجود آنذاك. ينقصه أن يقال عنه أنه موجود. أنه وجود. فكنتُ أنا. أنثى. حاملة لبذرة جديدة. بذرة الفكر. بذرة الرغبة. بذرة من يقول: أنا هنا. أمنح الوجودَ وجودَه. لا أحد غيري يمكنه فعلُ ذلك. الكون كلّه خُلِقَ في ستة أيام. هكذا كان. قد تكون الستة أيام آلافا من السنين بحسابنا اليوم. لكنها ستة أيام. قد يكون اليوم مِقداره خمسون ألف سنة

بحسابنا اليوم. لكنه يوم. كنت أنا. أنثى. هكذا كان. ولم يكن ينقصني شيء. لا ملل. ولا قلق. ولا صْداع الرّاس. لم يكن هناك تمييز ما بين كْحَل الراس ولّي ماشي كحل الراس. وجدتُ نفسي أتجول في الفردوس. لم تُعارض وجودي الكائناتُ الأخرى التي لم يكن لي علم بوجودها.

العجوز:

كاين شي وحدين كايبغيو يطيرو واخّا ما عندهومش الجناح. شي واحد عندو حمار. وهو عارفو حمار. وكايسوّل راسو واش هادا حمار ولا ماشي حمار. شنو يمكن نجاوبوه؟ شكون هو الحمار؟ واش الحمار. ولا لّي كايسوّل على الحمار واش حمار؟...

(الفتاة تنتقل للجهة اليمنى)

الفتاة:

كان الله. وحده سبحانه. ثم كان الكون. ثم عقد الله اجتماعا كبيرا مع ملائكته. لم يكن للتشاور. وإنما كان للإخبار. فالحدث جللٌ. الله لم يحتج لعقد ذلك الاجتماع. فالملائكة مخلوقاته. لكنه عقد ذلك الاجتماع. هكذا كان. من يدري ما هو السّر الإلهي وراء إخبار مخلوقاته النورانية. وكان الخبرُ حقا جديدا بالإخبار: الله سيخلق آدم. سيخلُقه من مادة بسيطة من الكون. التراب. ثم يهبه ما يجعل للتراب شأنا عظيما: العقل. فروح آدم من روح الله. وجعل الله صورة آدم أحسنَ صورة. فكيف كانت الأنثى هي أول مَنْ كان؟

(تنتقل الفتاة للجهة اليسرى)

الفتاة:

آدم من يكون؟ هل هو فردٌ أم جماعة؟ هل هو الإنسان أم البشر؟ لا بد من التمييز بين البشر والذين هم كائنات لها أنفُسٌ دون أن تكون لها أرواح، وبين الإنسان الذي هو بَشرِي له روح. الروح هي ما يميز الإنسان

عن البشري. لذلك فالمخلوق الأول بشري وليس إنسانا. كما أن هؤلاء البشر اقتضت إرادة الخالق أن يمرّوا بفترات لا يعلم طولها إلا الخالق نفسه. فالبشر وُجدوا قبل مرحلة الأنسَنة. قبل أن يتحول البشري إلى كائن إنساني اجتماعي عالم وعارف. أنا أول من خُلق. أنثى. وهذا هو المنطق. أنا التي أهب الحياة. فكيف يَهبني آدم الحياة. مَن قلبَ المنطقَ؟ مَنْ قلب القانون؟ مَنْ انقلب على المنطق والقانون؟ إن بذرة الاستبداد قديمة قِدم المخلوقات البشرية.

(تنتقل الفتاة إلى الجهة اليمنى)

الفتاة:

تقفزين من سماء لسماء. تستهترين بكل الماضي. تُضحين بالماضي من أجل أنانيتك الحاضرة. من أين شربتِ هذه المياه السامة التي تودّين نقلها للناس؟ أتودّين كتابة التاريخ على هواك؟ وما هواك؟ ومن تكونين حتى تُعرّضين قيما خالدة لنَعْلي قدميكِ؟ جنونُك سيرتد ضدك. غادي تندمي وما غادي يعجبك حال. غادي تخلصي هاد الضسارة بثمن غالي. من يتكلم من داخلك؟ شكون ساكنك؟ شكون؟ شكون؟

العجوز:

التاريخ؟ كاين تاريخْ واحد. هو فوقاش تزاديت. والتواريخ الأخرى غير خضرا فوق طعام. ملّي كايتزاد بنادم... آشنو لي كايستناه؟ كايستناه شي واحد يخلي دار بوه... التاريخ... واش حنا عند بونا شي تاريخ؟

(تنتقل الفتاة إلى اليسار)

الفتاة:

أنا ولدتُ سارة. وتارة ولدتُ هاجر. سُررت لما سُميت سارة. وهُجرتُ لحالي لما أقحمت في جلد هاجر. لا سارة التي هي أنا ولا هاجر التي هي أنا أيضا خَدمنا أحدا. كان آدم مجردَ صوت. وكانت إرادة الأنثى تتحقق. قال آدم

أنتِ أجمل النساء بعد حواء. رغم أنني أنا حواء. وقال إنني زوجتُه وأختُه في نفس الآن. ناسيا أنني أنا أصلُه وفصلُه. أختُه عند الحاجة. وزوجتُه عند غياب الحاجة. لكن يد آدم ممدودة بنفوذ وسلطان وجبروت. لا يقطعها إلا الله. لولا الله لالتهَم آدمُ كل أنثى. ألم يفعل ذلك بعد ذلك رغم وجود اللّه؟ هل يخشى آدمُ الله أم يخشى اللّهُ آدم؟ أنا لا أخشى آدم. فأنا من أوجدتُه. ولتحرقوا جميع كتبكم منذ بدء الخلق إلى الآن إن أردتم الحقيقة .

في قصر آدم كان الصراعُ بينه وبين الله عبر جسدي. الله يحبني... ليس لأنني تقية... ولكن لأنني أنثى. فأنا أيضا أمنحُ الحياة. لا يقدّر مانحةَ الحياة إلا من يمنحُ الحياة. سحر الأنثى بيد الله. من قال بأن الله ذكر؟ اللغة؟ ومن يجعل اللغة تنطق وتدل وتعني؟ من يحدد الذكر والأنثى هنا في هذا المكان؟ آدم. خاف آدم من أناي الأولى: سارة، فتوهم أنه أهداني هاجر. وكأنه يريد أن يشتري ذمةَ سارة بِدم هاجر. ناسيا أنني أنا سارة وهاجر معا. فاتفقنا في الذات الواحدة على أن ننفصل لنلتقي. لم يكن لآدم أي دور في قرارنا. كانت الصحراء شاسعة ومُخيفة لكنها كانت إلهية في عظمتها. فشددتُ الرحال إلى الأعماق وانطلقت هاجر تحفر نفقا مستحيلا في المكان المستحيل لتجد معنى للحياة في تحدي الحياة. في كل تجربة أنثوية قاسية يكون الحل من الله وليس من آدم. فهل يريد آدم أن يستولي على إرادة الله؟ هل يغارُ من الله؟ هل بلغ به الجنونُ إلى أن بدأ يعتقدُ حقا أنه إله؟ أنه الله؟ فجرتْ هاجر الماء بعون من السماء وفي غياب تامّ لآدم. الذي كان مجرد صوت. صوتٌ كان يلزم التحقق من كونه يمتلك الوجود.

العجوز:

أُمّنا سارة. وأمّنا هاجر... وجارتنا لالّة حليمة... وهاديك الجَنّية الكسّالة فالحمّام... كاملين خلقهم الله بحال بحال... في الحقيقة... لّي مات الله

يرحمو... والواحد يْديرها غير زوينة... الحاجَة لّي ما فهمتش هي كيفاش خلاتْ أبونا إبراهيم يَدّي ولدو يذبحو؟

(تنتقل الفتاة للجهة اليمنى)

الفتاة:

شكون هاجر؟ وشكون سارة؟ صحاباتك؟ ناشطات حقوقيات؟ صحافيات؟ عالمات؟ شكون هادو؟ خلطتي الصحرا مع الماء. واش عْمى ليك القلب؟

(تنتقل الفتاة إلى الجهة اليسرى)

الفتاة:

أنا سارة. الطفلة الصغيرة. التي لُقنت كل ما يضرها. قيل لها أنها بنت. وأن البنت عيب. وأن العيب عليه أن يَستر نفسه. وأن عليه أن يَخدم غيره. الأب والأخ والعم والجد والخال والزوج... وقيل لها أنها تحمل ذنبا وخطيئة. وأنها هنا للخدمة. وعدم الشكوى. وأن آدم أفضل منها درجات. وأن دمها نجس. وأنها ناقصة عقل ودين. وأن صوتها عورة. وجسدها عورة. وعورتها عورتان. وأنها مُهددة طيلة حياتها بالاغتصاب. وأنها جاذبة للشهوة. وموقظة لها. وأن آدم يشتهيها. وعليها أن تَحرس شرفها وكرامتها. وأن جمالَها فتنة. وصوتَها فتنة. ومشيتَها فتنة. وضحكتَها فتنة. وكل آهة من آهاتها فتنة.

أنا سارة. الطفلة الصغيرة. التي نشأت في قلب الخوف من أن تنزلق للجهة الأخرى. لأن آدم يستبيحُ الطفلات. ولأن آدم هو الحاكم والآمر والناهي والمالك للسلطة وللمال وللقرار وللتضامن غير المشروط من بني فصيلته. فكان عليّ أن أسير مُنحنية القامة، خائفة، تائهة، مُترقبة في كل لحظة لهجوم فتاك. الخوف هو مأواي. هو مآلي. هو خبزي اليومي نهارا وليلا.

ماذا تعلمتُ في كتبكم وفي مدارسكم وأنا طفلة صغيرة يا معشر الذكور؟ لقد حشوتم رأسي بمبادئكم التي تقول لي أن الذكر شجاع مِقدام مُستقيم صادق مُحارب للفساد تقي وورع، قوي، جِلْدٌ صبور كامل حنون مؤمن كريم حاملٌ للنسب يَتعب خارج البيت.

أما عَنّي فقد قلتم العجائب. قلتم: عليَّ أن أطيع الأب وأخاف منه. وأنني كائن قاصر أحتاج لوليّ ووصي، عاطفية وانفعالية وأعيش المأساة في هذه الحياة، من مصلحتي الانزواء داخل منزلي، وأرضخ وأستسلم للأقدار، وأنني مصدرُ الشر والضلال، مُجسدةٌ للشيطان، دوري هو الأمّ الحنون، وأنني أسَبّبُ الخلافات داخل الأسرة، عليَّ أن أطبخ وأربي الأطفال وأمارس مهنا تحددوها أنتم. ما ذا تعلمت في كتبكم ومدارسكم يا معشر الذكور؟ تعلمت أنني خادمة مأمورة، "كوني له أمة يكون لك عبدا وشيكا"، "إذا مات آدم، علي أن أعيش وطأة الفقر والبؤس والحرمان، على هامش المجتمع أمتهن التسول والاشتغال في البيوت كخادمة"، تعلمت أنني عاطفية وضعيفة الشخصية، "أمي تبكي، وجاراتها يَبْكين، وأنا عليّ أن أبكي أيضا، هذا هو قدرنا: البكاء"، بل إنني مجرمة وشريرة، أحبل بإرادتي خارج القانون والشرع والتقاليد، وألجأ للتخلص من الوليد، فيمزق الألم أحشائي، ويموت فِيَّ الخوف والعطف، وتتنبّهُ بداخلي غرائز القتل والانتقام، وأعوي كالذئاب الجائعة"، وأنا أيضا ساذجة وطيّبة، مَصدرٌ للفتنة، أثير الغرائزَ الجنسية عُنوة وقصدا "لما أتكحل وأتطيّب لأنال إعجاب الذكور الذئاب".

العجوز:

لَمْرا تبقى مْرا. كانت مْرا. وراها مازالا مْرا. مَرّة مَرَّة كاتكون مُرَّة. وحلاوتها هي أنها مْرا. وخّا حتى مرّة ما كانت شي مْرا قَدْ لَمْرا. حيت لمْرا هي كتر من لَمْرا. لكن هاد القصة ديال آدم ما بغاتش تسالي. فَ الحقيقة إلى بغا الواحد يَدّي شوية ديال الذنوب غادي يْسَوّل بونا آدم ديريكت: علاش خرجتِ

من الجنة؟ عاود تاني غادي تگول لمْرا؟ شكون هاد لمْرا لِّي تبغي تخرج من الجنّة؟ مُحال هاد الشي واش هو هاداك... الله يسمح لي بقيت كانخربق...

(تنتقل الفتاة للجهة اليمنى)

الفتاة:

واش تْعمى ليك البصر والنظر والرؤية والبصيرة؟ واش ضرباتك التلفه؟ واش ما بقى عليك حكام؟ أنت بما تقولينه تؤكدين دور آدم وأهميته وخطورة وجسامة مهامِه؟ بمجرد ما حررتِ نفسكِ وهما من آدم حتى صرتِ تنافسين الخالق في الخلق ووهْبِ الحياة حتى صارت أقوالك لعينة وشيطانية ومؤسفة؟ أنا تعلمتُ في نفس المدارس وقرأت في نفس الكتب، وها أنا ذا أعتز بما تعلمتُه، وبالقيم التي صارت قيمي اليوم. آدم علّمني أن أكون مطيعة. وها أنا مطيعة. علمني أن أكون خادمة. وها أنا خادمة. علمني أن أومنَ بالتفوق الذي وهبه الله له، تفوّقُ العضلات وتفوّقُ العقل وتفوّقُ الشجاعة وتفوّقُ القوامة وتفوّقُ القيام بالحرب وكل المهام الخطرة. كيف لي أن أشكك في كل ما تعلمتُه من آدم الذي هو رمزُ التوازن؟ ألست أميرة بين يديه، وأمة في مطبخه، وجارية في فراشه، فماذا أريد أكثر من هذا التشريف؟ إنك جاهلة. لقد فقدتِ النظر والبصر والرؤية والبصيرة؟

العجوز:

أنا خدّامة. لكن ماعندي زْهر. ما بغيتش نكون خدامة عند لّي كان. زعما حنا كلنا أولاد تسع شهور.. وكيفاش وحدة خدّامة عند واحد يْدير بها ما بغا؟ لا. لا. لا. الله ما يبغيش هاد شّي... لكن شكون لّي دارو؟

(تنتقل الفتاة إلى الجهة اليسرى)

الفتاة:

لست أنا التي فقدتُ النظر والبصر والرؤيا والبصيرة والإدراك. إن آدم هو الذي تخصص طيلة تاريخه في وسْم أعدائه بأنهم لا ينظرون ولا

يبصرون ولا يَرون ولا يدركون. وما يقصده تحديدا هو أنني أنا مثلا لا أنظر مثلما ينظرُ هو، ولا أبصرُ مثلما يبصرُ هو، ولا أرى مثلما يرى هو، ولا أدرك كيفما يدرك هو. إنه يحب خلط الأوراق ليفوز بالسيادة والسطوة. نظري سليم. وبصري أسلم. ورؤيتي واقعٌ حيّ وحيوي يشهد عليه العقل.

فالرؤية تكون بالنظر في معظم الحالات. لكن ليست كل رؤيا ناتجة عن النظر. الرؤيا الناتجة عن النظر إرادية. أما الرؤيا غير الإرادية فلا صلة لها بالنظر. هناك رؤيا إدراكية مثل الرؤيا المَنامية، إنها رؤيا إدراكية دون نظر ودون بصر. وقد تكون الرؤيا إرادية دون استعمال البصر كأن أستدعي مشهدا في ذهني لأراه داخليا بدون نظر. وقد تكون الرؤيا بإدراك، وقد تكون بدون إدراك.

أما النظر، فيكون بالعين، وهو في الغالب إرادي. لكنه يكون أيضا غير إرادي رغم نُدرته. والنظر قد تنشأ عنه رؤيا وقد لا يتم ذلك. فحينما انظر في الظلام فلن أرى، وحين أنظر إلى نقطة تتجاوز قدرتي على النظر لن أرى. وليس كل نظر يحقق رؤيا يؤدي إلى بصر. فقد أنظر لخطر أمامي دون أن أبصره. أما البصر فهو حصيلة النظر والرؤيا والإدراك. فمن مِنا فقد النظر والبصر والرؤية؟ أنا أم آدم؟ أما أنتِ فقد فقدتِ هويتك وأنوثتك وكينونتك واختياراتك وكل ما يجعل منك أنت؟ لقد صرتِ مجرد صورة باهتة لصوت آدم.

العجوز:

أنا بعدا شفتْ لَعجبْ. وما قضيت والو بْداك شي لّي شفت. لو كان غير ما شفتش. شي مرّة كانقول لو كان غير حرمني الله من الشوف. هاد لبلاد إلى ما شفتيش حسن ليك. وخا شي مرات كا يجمعو لي شاف ولا ماشافش. وربما لّي ما شافش كايمشي فيها أكثر منْ لّي شاف.

(تنتقل الفتاة إلى الجهة اليمنى)

الفتاة:

واخا تَعياىْ ما تنكري. كلامك ضدك. هاد الشي لي كاتگولي دليل قاطع على أن ما بقيتي كاتقشعي والو. مات ليك القلب. تعميتي على الطريق السليم. واش بصح كاتعتقدي أنك أمْنا حواء؟ واش هبلتي؟ طار ليك لفريّخ؟ وعلاش ما تكونيش حواء ومَريم وحتى بَلقيس؟ شكون عْرَف؟ معاك كل شي مُمكن؟

(تنتقل الفتاة للجهة اليسرى)

الفتاة:

جاء الهدهدُ متأخرا كعادته. ربما كان في مكان أكثر إغراء. لم يكن خائفا لأنه تأخر عن حضور مجلس الملك. فهو مَزهوّ بنفسه. كبرياؤه جزء من حياته. جمالُه واجهة لصدقه. لا يوجد مبرر لكي يترك مكانا جميلا ليهرول إلى مكان أقل جمالا. يعرف أنه سيُستفسَر عما قام به. لا ينبغي تركُه يتوهم أنه غير مُقيد وأنه يشكل استثناء. على جميع الحيوانات أن تخضع للملك. وأن لا تخرج عن طاعته. وأن تُطبق حرفيا أوامره. فلا يمكن أن يتوهم الهدهد أنه بدون حسيب أو رقيب. قال الهدهد أنه كان في حضرة ملكة عظيمة ورائعة الجمال. أنثى تحكم عالما بأسره. يخضع لها الناس. وتخضع هي والناس للشمس. أي للنور. ومهما كان جمال الهدهد أخاذا وصدقه أصيلا فمن أين له أن يبصر ما يرى؟ ويدرك ما يبصر؟ النور امتداد لله. ليس النور هو الله. لا بد من خالق للنور.

استُدعيتْ الملكة بلقيس للتعرفِ عليها. سبقَ جمالُها وصولَها. كان على الملك أن يُعِدّ إنجازا يُبهرُها به. لماذا كان عليه أن يُبهرَها إذا لم يكن يودّ فتنتها؟ صراع القوة؟ صراع الإرادة؟ صراع إرادة القوة؟ نزع الاعتراف؟ السيطرة على الآخر بكل الوسائل؟ أي إنجازٍ سيفتنُ امرأةً تُجسدُ الافتتانَ؟ هل يمكن إضعافُ الافتتان في أبهى صُورِه بِبناء صَرح من الزّجاج والماء، يَظهرُ فيه الملك وكأنه جالسٌ فوقَ الماء المُتحرك، وهو

يجلسُ في الواقع فوق أرضية زجاجية تتحركُ الحيتانُ والكائناتُ المائيةُ من تحتِها؟ كان افتتانُها فتنة. لكنهُ فتنةٌ في الجمال وليسَ في السلب.

بلقيس امتداد لحواء. التقتْ بها في المُطلق. ورسَمَتا مصيرا مُعينا للأنثى. فجرَ لقاؤُهُما العالمَ حبًا وجمالا. تصْنعُ حواء من التفاحة مركبة وسماء. تزيّنُ السماء بمصابيح من نور عينيْها. تَركبُ مركبتَها التي صنعتْها بتفاحتها المَقضومة من أحد الجوانب بأسنان نورانية، تطير في سمائها المُضاءَة بمصابيحها. تسافر بحرية. الفردوسُ فردوسُها. والسماء غطاؤها. والنور عيونُها. والكون كلُه في خدمة طاقتها. تسافر من نور لنور. ومن نجمة لأخرى. ومن بستان لآخر. ومن ركن لركن. كانت بلقيس حافية القدمين في مملكتها. تزينُ الخلاخل رجليْها ويديْها. وتحيط بعنقها ورودُ الكون. رفعتْ فُستانَها لتُظهِرَ قدميْها الحافيتين وجزءا من ساقيها. استقرتْ مركبة حواء عند قدميْ بلقيس. ركبتْ بلقيس مركبة حواء. ثم كان التحليقُ في السماء مِن جديد. حواء وبلقيس نجمتان تَسبحان في فضاء الكون اللانهائي. اتجهتْ المركبة بهما نحوَ بيت لحم. وحطّت عند قدميْ مريم. ابتسامة مريم بِسعة سماءٍ كاملة. لما تبتسمُ يُسمعُ تفتّحُ الورود في كل مكان وكأنه عزفٌ إلهيّ على آلة ربّانية صُنعت من الخشوع.

العجوز:

بلقيس؟ فينْ سمعتْ هاد السميّة؟ ما نكونْ سمعتها غير ف شي جنازة ولا ف شي ختانة ولا ف شي مصيبة كبيرة بحال شي زلزال ولا شي عامْ الجوع... حيثْ هادي هي المناسبات فين كايقراو الناس القرآن... بلقيس وسيدْتنا سليمان... هاد بلقيس مْرا واعرة. واخّا سيدنا سليمان عندو جْنُونْ في دارو... بلقيس جابت خبارو وخربقات ليه ليلو مع نهارو... الله يسمح ليّ... وقيلَ بقيت كانخربق...

(تنتقل الفتاة للجهة اليمنى)

الفتاة:

اللعنة هي التراب الذي ستمشي فوقه قدماك. تستبيحين كل حقيقة كبرنا معها. ما الفائدة الآن من هدْم حقائقنا التي هي أساس طمأنينتنا؟ ما الفائدة من تشريدنا من عالمنا الهادئ والهانئ الذي صنع بوجود ملايين البشر طيلة قرون لا نستطيع عدها؟ لماذا الآن تريدين هدم الخيمة فوق رؤوسنا؟ أما يكفيك هذا الخراب الذي يسود فوقنا وتحتنا وفي أنفسها؟ نساء مهجّرات، مغتالات مطرودات مغتصبات معتدى علين متحرش بهن مستغلات مستباحات مقهورات جائعات مطرودات في الشوارع نائمات وفي أسرّة الذكور مختبئات... طفلات وجاريات وشابات ومسنات كلهن في بحر العذاب متساويات... ما الفائدة من تمردك هذا على نظام يزداد سوءا بالنسبة للجميع؟ ماذا سوف تستفيدين إن كنت ابنة حواء بدون آدم. وإن كانت الأنثى هي الأصل أو الفصل أو البداية أو حتى كل الحياة؟

(تنتقل الفتاة للجهة اليسرى)

الفتاة:

كبرتُ في حروب الثقافة الشعبية المستمرة والنارية منذ وعيتُ معنى الكلمات الأولى. كانت الأزقة تشبه ساحات حرب ضدي. أنا الطفلة الأنثى البريئة التي جاءت للحياة بدون إذنها. لم تخترْ جنسها ولا لونها ولا حالتها الجسدية ولا فقرها ولا غناها ولا مكان تواجدها ولا بيتها ولا والديها ولا حزنها ولا فرحها ولا الحي الذي سوف يكون في الحقيقة سجنا عسكريا مفتوحا يقوم في الذكور بدور الجنود وتكون فيه الإناث المستهدفات والضحايا والعدوات اللدودات .

أينما وليتُ وجهي أتلقى قنبلة ضدي وضد أصلي وجنسي ووالدتي وجدتي وضد كل ما أمثلُه من اختلاف جنسي. وعيتُ خطورة هذا الهجوم لما سمعتُ ذكرا يقول شامتا وضاحكا ومستهترا: "لّي ما يذبح شاتو، وما

يسوط مراتو، موتو خير من حياتو"،، ورد عليه آخر مبادلا إياه الفرحة بهذا الاعتداء المشروع في نظرهما: "دوا الضرسا ولَمْرَا: الكُلاب ولِبْرا ."

أحسست برعب شديد. وصرتُ أتخيل أزقة الحي غاصة بوجود ذكور متلاحمين ومتراصين ينتظرونني في بداية كل زقاق لكي يقذفوني بالقنابل المميتة. فهناك سمعتُ: "لَمْرا كاتهرب من الشيب كيف النعجة من الذيب". وقربي صاح صوت غريب مفزع: "لّي كايعملو إبليس في عام كاتعملو لعگوزة في ساعة". وبعدما خطوت خطوات للأمام تبعني صوت يقول: "إلى شفتي الشارفة بالتسبيح عْرفها شيطانة بالتصحيح". وصاح آخر: "طاعة النسا كاتدخّل للنار."، ثم شعرت بهجوم شرس من كل الجهات:

"لمرا لي طُوفْ ما تغزل صوف

"إلى حلفو فيك الرجال بات ناعس، إلى حلفو فيك النسا بات فايق.

"كيد النسا قويْ وكيد الشيطان ضْعيف.

"الزواج والموت هَمّ لا يفوت.

"لَمْرا بلا ولاد بحال الخيمة بلا وْتاد.

"خذ لَمْرا الأصيلة ونام على الحصيرة.

"لا زين إلا زين الفعال.

"الحرة إلى صبرات دارها عمرات.

"أنا وخالتي مانمشيوشي في راجل

" البنت تاكل ما تشبع وتخدم ما تقنع

"دار البنات خاوية

"الله ينجيك من المشتاق إلى فاق، ومن البايرة إلى ضربت الصداق

"أنا نطلقها وهي تفرّش لي السرير

"بحال لّي عاود همو لبنت عمو

"بنتك لا تعلمها حروف ولا تسكنها غروف

"إلى طلقتيها لا توريها دار بّاها

"ما فالشتوا ريح دافي، ما فالنسا عهد وافي

"لَمْرا أفعى ومتحزمة بإبليس"

ترنحتُ من قوة الضربات. سقطتُ أرضا. شعرتُ بأن جيشا من الذكور يمرُّ فوق جسدي الصغير منتقما قاتلا ذابحا مُنكلا معتديا جارحا مَزهوا مفتخرا والدماء تزيّنُ أياديهم. دماء لم تتوقف عن السيلان منذ أن كانت الأنثى ضحية آدم.

(تنتقل الفتاة للجهة اليمنى)

الفتاة:

سأحتفل بموتك قريبا. لن آسف على ذلك. لن آسف على تحويلك إلى مجرد رماد بدون ذاكرة ولا حاضر ولا مستقبل. سأحتفل بنهايتك لأضع حدا لهذا العذاب الذي أذوقه كل يوم كلما هممت بالكلام من أجل الحرب ورفضا للسلام.

لن أبكي على موتك. سأبارك موتك. سأشارك في تأبينك تشفيّا فيك وتعبيرا عن كلِّ الغيظ والحقد الذي تولّد عندي بسبب تمردك. أنت عارٌ في جسدي. عارٌ في ذهني. عليّ أن أتطهر منك. ها أنت ترين رغم كل المتمردات الثائرات العنيفات منهنّ والمسالمات فإن عددكن لم يتجاوز المئات.... ملايين من النساء لا يتنكرن لآدم. قد يبدو لك أن تاريخ المرأة يتقدم نحو تحريرها. لكن هذا مجرد وهم. عدد النساء اليوم اللواتي يُسبحن بحمد آدم أكثر من أي وقت مضى. أنظري إلى البلدان التي تحررتْ من آدم... ها هي تعودُ إلى مباركته. سوف تندم النساء على قتل آدم. فرغمَ كل عيوبه، يظل هو المنقذ والأمل. لا توازن بدون آدم. عليك أن تعلمي ذلك: لا توازن بدون آدم.

العجوز:

شنو زعما؟ الرجال أحسن من النسا. هادي عمّرني ما فهمتها... ݣاع الرجال لي عرفتْ عقولهم بين رجليهم.. غير كادّوز خمسة ديال الدقايق بعد السلام عليكم... كا تشوف حجرو كيلعبْ ف عينيه... وكايتلوّى بحال الحنش... ملّي كانفكر آشنو هي الخدمة لّي تجي مع الرجل... كا يبان لي... يا إما عساس... وإما عسكري... خاصو ديما يكونْ واقف...

(تنتقل الفتاة إلى الجهة اليسرى)

الفتاة:

ما الذي يُخفيه لي المستقبل؟ أي أنثى يَحبُل بها هذا الشعب الذي أنتمي إليه؟ هذا الشعب كان دوما ضدّ الأنثى. هذا الشعب حرّض الأنثى ضدّ الأنثى. هذا الشعب نجح في جعل الأنثى تكره الأنثى وتتحالف مع آدم ضدها. لكن الأنثى صارت هي الشعب. صارت جزءا من الشعب. فهل ستغيرُ الأنثى الشعب؟ أم أن الشعب سيلتهم الأنثى ليسود آدم قرونا أخرى؟

أين سأكون غدا؟ من سيحمي تراب الأنثى؟ التراب الذي خُلقتْ منه والذي تقفُ فوقه والذي هو عهدُ الوجود. ميثاق التضامن في الكون. الترابُ رمزٌ للتعذيب ولإذلال النفس. ترابٌ وترابْ. ترابٌ لَمَستْهُ يدُ الله. وترابٌ صار رصاصا في يد آدم.

هذه امرأة أضربت عن الطعام حتى الموت. وهذه امرأة هاجرتْ حتى تحيى. وهذه تحمّلت الاغتصاب حتى تشهد ضد مغتصبها. وهذه تمّ حلق رأسها لأنها تحدت السلطة. وتلك أهينت أمام الملأ في أنوثتها لأنها أرادت إبراز جمالها بدون خوف. وتلك لوحقت في الشارع وأُهينت وأدميت وجُرجرت ولُكمت ورُكلت لأنها تحدثت بجهر عن الأنوثة والجسد.

تلعب الأنثى لعبة الحرب مع الذكور. فتصير الغنيمة رغم أنها المنتصرة عليهم. فرضوا عليها أن تُقرَ بهزيمتها المستقبلية. فلا يجوز أن تغلب أنثى ذكرٌ، أو أن تتقن حمل السلاح خوفا للإطاحة به في أقرب فرصة.

احتكرَ آدم امتلاك السلاح وحمله واستعماله. في كلِّ طفولةٍ أولى يلعبُ الذكر والأنثى معا. يكبران معا. يضحكان معا. ثم فجأة يحمل الذكرُ السلاح ضد الأنثى. ما هذه الخيانة العظمى؟

الأنثى وطنٌ. لذلك لا يوجد وطنٌ يسعُها. أيّ وطن يسعُ الوطن؟ أي مساحات قاحلة وعاقر تسعُ من تهِبُ الحياة بلا حساب؟ سلاح الأنثى هو الحياة. وسلاح الذكر هو الموت. موت ضد الحياة. لكن إذا تجاوز الشر الحدود التي تحمي حياة الوطن فلا يمكنُ للأنثى أن تظل محايدة. فهي المسؤولة عن حماية الوطن. تلدُ للوطن. وللمعمل. وللحرب. وللتشرد. وللقتل. وللمجاعة. وللسلام. وللموسيقى. وللرقص. وللدمار. تلدُ بناتها وأبناءها تلبية الحياة. لأنها هي الحياة. الأنثى تلدُ. تُربّي. تُعطي الروح. تُعطي المعنى. تُعطي المحبة. ثم يأتي ذكر... لكي يُنهي المشروع كله... مشروع الحياة.

(تنتقل الفتاة إلى الجهة اليمنى)

الفتاة:

من أفسد عقلك؟ لا يمكن لشخص واحد أو حتى لمائة شخص أن يدمروا براءتَك كامرأة إلى هذا الحد؟ لقد أدمنتِ على النظر لنفسك في المرآة؟ إنها المرآة؟ هذه الساحرة القادرة على تقديم صورة مُحرّفة ومزورة عن النفس. لقد أفسدَتك المرآة. صدّقتِ أكاذيبَ المرآة. لقد أدمنتِ على الزيف والتحريف. المرآة مسكنُ الشياطين. تفرجتِ الشياطين على جسمك وأنت تعرضينه على المرآة بغباء. وتُحدّثين نفسك أمام المرآة بوقاحة. فسكنتْ الشياطين جسمك وأتلفت روحَك. المرآة مسكنُ إبليس. المرآة مدخلٌ للجنون والافتتان المَرَضي بالذات. لم تذْكري الله

وأنتِ تنظرين للمرآة. فَعشقَ الجنُّ جسدَك. وسكنك. لا بدّ من كسر مرآتك. فهي طلاسمٌ وعزائم. لن تستعيدي قلبك والمرآةُ قربَك.

أصوات نسائية:

(أصوات نسائية متداخلة تعبّر عن رغبتها في الكلام. تُصرُّ هذه الأصوات على أنها تريد أن تحكي حكاياتها هي أيضا).

صوت نسائي: لقد تكلمت ما فيه الكفاية. جاء دوري للكلام...

صوت نسائي: لا بد من التوضيح أنك...

صوت نسائي: خاصْك تسمعيني. راه عندي وجهة نظر في الموضوع...

صوت نسائي: ما يمكنشْ ما نتكلّمش...

صوت نسائي: سمْعي. كيف مّا سمعتْ ليك سمعيني...

صوت نسائي: خاصْ يْكون الوضوح. خاصك تعرفي أن موقفي أنا...

صوت نسائي: ما يمكنش تقولي لّي بغيتي وتمشي فْحالك...

صوت نسائي: الكلام راه مسؤولية... خاص يكون عندك الصبَر وتسمْعي...

صوت نسائي: ما غاديش نساليوْ الموضوع هنا.... خاصو يَكمَل

صوت نسائي: ما عندكش الحق ما تسمعينيش...

الفتاة:

(تحاول إسكات الأصوات النسائية التي تنبعثُ من داخلها. فتطالبُهن بالصّمت والسكوت).

◆◆◆

الفهرس

أسواق الحقيقة (مسرحية) 5
المشهد الأول........ 7
المشهد الثاني (حقيقة الأسماء) 11
المشهد الثالث(حقيقة الحياة) 17
المشهد الرابع (حقيقة التاريخ) 25
المشهد الخامس (حقيقة الصدق والكذب) 31
المشهد السادس (حقيقة الصمت) 37
المشهد السابع (حقيقة الوحدة والتعددية)........ 43
المشهد الثامن (حقيقة الرغبة بين الوراثي والفطري)........ 49
المشهد التاسع (حقيقة المصلحة) 55
المشهد العاشر (حقيقة الزمن) 61
المشهد الحادي عشر (حقيقة الموت والحياة)........ 67
أنوثة بمذاق المطلق (مسرحية) 75

هذا الكتاب

«مْنين جيتي؟ آش من طاسيلة عندك؟ شكون لي كايعرف تاريخ طواسلك وطواسل طواسلك؟ لّي فهمات جوج حروف تُهاجمُ الاستقرار والتوافق والتفاوت الطبيعي وحق آدم في التفوق والسيطرة. هادي تكلمات «على الوجه العاري للمرأة العربية»، وعن «امرأة عند نقطة الصفر»، وعن «موت الرجل الوحيد على الأرض»، وعن «الأنثى هي الأصل». وهاديك تكلمات على «حَيرةُ مسلمة»، وعن «ناقصاتُ عقل ودين»، وعن «وليس الذكرُ كالأنثى»، وعن «شَوْق، قراءة في أركان الإسلام»، وهاديك تكلمات على «سلطانات منسيات»، وعن «ما وراء الحجاب»، وعن «شهرزاد ترحل للغرب»، وعن «الحريم السياسي»، وعن «هل أنتم مُحصنون ضد الحريم»، وعن «شهرزاد ليست مغربية»، وهاديك كتبات على «بُرهان العسل»، وهاديك كتبات عن «عابر سرير»، وعن «فوضى الحواس»، وعن «ذاكرة الجسد»، وتناسلن بلا انقطاع بْحال الفيضان: «تاء الخجل»، «خارج الجسد»، «رائحة القرفة»، «مرافئ الوهم»، «أصل الهوى»، «إغواء امرأة»، «قضم ظهيرة مقددة»، «الغلامة»، «المحبوبات»، «أنا هي أنْت»، «مريم الحكايا»، «اكتشاف الشهوة»، «على صدري».... هذا عصر طغيان الحريم. وغدا سوف تعلنُ امرأة عن نبوتها وتأتينا بدين جديد: دين حواء العظمى؟»

الثمن : 30 درهما

CTP & Impression : Imprimerie Rabat Net Maroc